

طيفُ الخيال

تأليف

على بن الحسين بن موسى

الملقب بالشريف المرتضى

٣٥٥ — ٤٣٦ هـ

تحقيق

محمد سيد كيلاي

ماجستير كلية الآداب بجامعة القاهرة

ملتزم الطبع والنشر

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

طيفُ الخيال

تأليف

على بن الحسين بن موسى

الملقب بالشريف المرتضى

٣٥٥ - ٤٣٦ هـ

تحقيق

محمد سيد كيلىانى

ماجستير كلية الآداب بجامعة القاهرة

ملتزم الطبع والنشر

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

الطبعة الأولى

١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م

(حقوق الطبع محفوظة)

إهداء الكتاب

إلى العالم الجليل الأستاذ الدكتور طه حسين :

طالعت كثيرا جدا من سير الأدباء الغابرين والمعاصرين ،
فلم أر من ضارئك في كرم أخلاقك ، ولا من نفع الناس
كما نفعتهم بعلمك ، فأنت تعيش ، لغيرك ، أكثر مما تعيش
لنفسك ، إنك قلّة من فلتات الزمن .

ولإعجابي بكم ، أهدي هذا الكتاب إليكم .

المخلص

محمد سيد كيلاذني

تقديم

كتاب « طيف الخيال » للشريف المرتضى ، من الكتب القيمة التي تنشر لأول مرة ، عن نسخة شمسية ، محفوظة بدار الكتب المصرية ، تحت رقم « ١٠٣١٣ ز » ، مأخوذة عن نسخة خطية بمكتبة الأسكوريال ، صفحاتها ثمان ومئتا صفحة من الحجم الصغير ، جيدة الخط ، فرغ من كتابتها سنة إحدى وتسعين وخمسمائة هجرية . وقد جاء على غلافه أنه للشريف الرضى . وسجلته دار الكتب في فهرسها عَلَى أنه للشريف الرضى كذلك ، ولكن القارى سيدرک من أول وهلة ، أن هذا الكتاب من تأليف الشريف المرتضى . فالمؤلف يشير إلى كتابه « الشهاب ، فى الشيب والشباب » . وهذا الكتاب كما نعلم للمرتضى ، ثم ينقل عن أخيه شعرا وأخبارا ، بعد أن يترحم عليه . ومعلوم أن الرضى مات قبل أخيه المرتضى .

ونرى فى هذا الكتاب موهبة المرتضى فى نقد الشعر وفهمه

وتذوقه . وردوده القوية عَلَى الأمدى ، تدل عَلَى افتات بارعة ، ونظرات موفقة . وفى الكتاب جملة من شعر المرتضى ، الذى ضاع ولم يبق منه إلا القليل ، وفيه فوائد أدبية جمة .

أما موضوع الكتاب فهو « طيف الخيال » الذى أكثر الشعراء من ذكره فى قصائدهم الغزلية . وهو موضوع طريف حقا . فقد كان الشاعر العاشق الوهّان ، الذى حالت الظروف بينه وبين محبوبته ، يظل مشغولا بهذه المحبوبة ، دائم التفكير فيها . فلذلك كان يراها فى النوم ، وينال منها ما يشاء . ثم يتحدث عن ذلك فى شعره . فالحديث عن « طيف الخيال » هو حديث عن أحلام كل شاعر بمحبوبته ، وقد كثر هذا فى الشعر العربى ، حتى صار موضوعا يحتاج إلى دراسة مستقصية منظمة . ولعل المرتضى أول من تناول هذا الموضوع فى كتاب مستقل ، ولكنه لم يستقص كل ما ورد فى الشعر عن طيف الخيال ، بل قصر كلامه على شعر أبى تمام والبحترى ، وشعره وشعر أخيه الرضى ، وإن كان قد أشار إلى أبيات قليلة لبعض شعراء آخرين ، مثل قيس بن الخطيم ، والنمر بن تولى ، ووازن بين معانى هذه الأبيات وبين ما ورد عند البحترى وأبى تمام .

أما مؤلف هذا الكتاب ؛ فهو أبو القاسم على بن الحسين بن موسى الملقب بالمرتضى .

ولد ببغداد سنة ٣٥٥ هـ ، وبدأ حياته الدراسية بحفظ القرآن على يدي

أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبري - الفقيه المالكي . ثم درس على أبي عبد الله محمد بن النعمان الفقيه الإمامي ، الملقب بالشيخ المفيد ، وبابن المعلم ، بمسجده بالكرخ .

وكان المفيد المتوفى سنة ٤١٣ هـ فقيه الشيعة الإمامية في عصره ، متبحراً في كثير من العلوم ، مبعجلاً محترماً ، صاحب منزلة رفيعة عند الملوك والأمراء البويهيين ، حتى إن عضد الدولة كان يزوره . ومن تلاميذه الرضى والمرضى وأبو جعفر الطوسي . وكانت مجالسه حافلة بالعلماء من سائر الطوائف .

وقد ذكره صاحب النجوم الزاهرة^(١) بقوله : « وفيها - ٤١٣ - توفي محمد بن محمد النعمان أبو عبد الله فقيه الشيعة ، وشيخ الرافضة وعالمها ، ومصنف الكتب في مذهبها . قرأ عليه الرضى والمرضى وغيرهما من الرافضة . وكان له منزلة عند بني بويه وعند ملوك الأطراف الرافضة » .

وتلقى المرتضى الاعتزال على يد قاضي القضاة ، عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار ، أحد شيوخ المعتزلة في عصره ، ومؤلف كتاب « المغنى » الذى عرض فيه لتاريخ أبي بكر وعمر وعثمان . وقد ألف المرتضى كتاباً سماه

« الشافى » رداً على كتاب المغنى . وقد تضمن هذا الكتاب - كما يظهر لنا مما نقله^(١) ابن أبى الحديد فى شرحه - مطاعن فاحشة فى الخلفاء الثلاثة بلغت حد إخراجهم من زمرة المسلمين . وهذا ما حمل صاحب النجوم الزاهرة على إطلاق لسانه فى المرتضى وأخيه . وقد توفى عبد الجبار سنة ٤١٥ بعد أن عمر طويلاً .

أما النحو وعلوم اللغة فقد تلقاها عن أبى على الفارسمى المتوفى سنة ٣٧٧ ، وابن السيرافى المتوفى سنة ٣٨٥ هـ ، وابن جنى المتوفى سنة ٣٩٢ هـ ، وعلى بن عيسى الرّبعى المتوفى سنة ٤٢٠ هـ .

وكان المرتضى على جانب من الثراء ، مكن له من التفرغ للعلم . وقد آلت إليه نقابة الطالبين بعد وفاة أخيه الرضى . وقد وصفه الثعالبي^(٢) بقوله « نقيب العلويين أبو القاسم الملقب بالمرتضى ، علم الهدى ، السيد المشهور بالعلم ، المعروف بالفهم » .

وذكر ياقوت عن أبى جعفر الطوسى^(٣) : « توحّد المرتضى فى علوم كثيرة ، مجمع على فضله ، مقدّم فى العلوم مثل علم الكلام ، والفقه ،

(١) - ١ ص ٢٢٠ وما بعدها ط مصطفى الحلبي .

(٢) - تنمة اليتيمة - ١ ص ٥٣ طهران .

(٣) - معجم الأدباء - ١٣ ص ١٤٧ دار المأمون .

وأصول الفقه ، والأدب ، والنحو ، والشعر ، ومعانى الشعر ، واللغة ، وغير ذلك . وله ديوان شعر يزيد على عشرة آلاف بيت .

وينسب المرتضى إلى البخل والحرص على المال^(١) . وقد حدث أنه ذهب لزيارة الوزير أبى محمد المهلبى ، فلم يحتفل بقدومه احتفاله بقدوم أخيه الرضى ، حينما زاره عقب انصراف أخيه .

فلما سئل الوزير عن السرفى ذلك ، قال : إنا أمرنا بحفر النهر الفلانى^١ وللشريف المرتضى على ذلك النهر ضيعة ، فتوجه عليه من ذلك مقدار ستة عشر درهما أو نحو ذلك ، فكاتبنى بعدة رقاع يسأل فى تخفيف ذلك المقدار .

وأما الرضى فبلغنى ذات يوم أنه ولد له غلام ، فأرسلت إليه بطبق فيه ألف دينار فرده ... الخ » . وهذه القصة رواها ابن أبى الحديد مع اختلاف يسير .

وجلُّ المؤرخين الذين عرضوا لهذين الرجلين ، يقدمون الرضى على المرتضى . ولا أدرى ما الذى دعاهم إلى هذه المقارنة ، إذ لا يجوز أن يرفع الرضى على حساب أخيه .

وكانت تحدث أحيانا بين المرتضى وأخيه جفوة وقطيعة ، فيبدأ المرتضى بنظم قصيدة يعاتب فيها أخاه ، فيرد عليه بقصيدة ، ثم لا يلبث الصفاء أن يعود بين الأخوين ، فيخرجان مع بعض أصدقائهما للتنزه ، أو يجتمعان في مجلس أنس وطرب ، أو مجلس علم .

وكان المرتضى يحب أخاه حبا جما ، حتى إنه لم يستطع أن ينظر إلى تابوت أخيه حين توفي أو يحضر دفنه ، بل مضى إلى مشهد موسى ابن جعفر السكاظم ، وبقى به إلى آخر النهار ، إلى أن ذهب الوزير فخر الملك أبو غالب ، وألزمه العودة إلى داره .

وقد نظم الشريف المرتضى شعرا كثيرا في الشيب وذمه ، وألف كتابا خاصا سماه : « الشهاب ، في الشيب والشباب » .

ومن قرأ شعر أخيه الرضى وجده يكثر من ذكر الشيب وذمه .

وهكذا اشترك الأخوان في هذا الباب ، وسارا معا على وتيرة واحدة . فكل منهما يرى أن الشيب باب إلى الموت ، وطريق إلى القبر . وهما يسخران من الوقار الذي يصحب المشيب ، ويريان أنه لا خير فيه .

وفي شعرهما الغزلى تشابه في المنهج والأسلوب واشتراك في المعاني

فكلاهما تغزل بالأعرايات ، وذكر نجدا والخيام ، وأرض بابل والنسيم
وغير ذلك .

ومن مؤلفات المرتضى التى وصلت إلينا :

- ١ — الأمالى ، وهو أشهر كتبه .
 - ٢ — الشهاب ، فى الشيب والشباب — طبع فى الآستانة
سنة ١٣٠٢ هـ .
 - ٣ — طيف الخيال الذى نضعه بين يدي القارىء .
- والمرتضى شديد الإعجاب بشعره ، كثير الإطراء له ، يزعم أنه أتى
فى هذا الباب بما لم يسبق إليه .
- أما بعد : فإننى أرجو أن يستفيد القراء من هذا الكتاب ، والله
الموفق .

محمد سيد كهرنى

مقدمة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله على ما أعطى من فهم ، وآتى من علم ، وصفى من بصيرة ،
وعفى من جريرة ، ويسر من طلب ، وسنى من أدب ، وصلى الله على
سيد المرسلين نبيه محمد وآله الطاهرين ، صلاة تكون لحقوقهم كفوًا
ووفاء .

ومن بعد ، فإننى وقفت على ما ذكرته ، أمدك الله بتوفيقه
وتسديده ، من شغفك بما اطلعت عليه من كتابى فى « الشيب » وإعجابه
لك ، وإطرابه إياك . وأنت استغزرت فأدته ، واستغربت طريقته ،
ودعاك ماوقفت عليه منه ، إلى التماس كتاب فى أوصاف « طيف الخيال » .
نسلك فيه هذا المنهج ، ونخرجه هذا المخرج ، فإنه أيضا باب قائم
بنفسه ، قد أطلال الشعراء فيه وأقصروا ، وأصابوا وأخطئوا ، وتصرفوا

وتفنتوا . وقد رأيت الإجابة إلى سؤالك ، على ضيق زمانى وقلبى ،
وكلال فكرى ، وكثرة هموم صدرى ، وأن أعتمد على إخراج ما فى
ديوانى الطائنين ، ثم ما فى ديوانى شعرى وشعر أخى ، نضر الله وجهه ،
وأحسن منقلبه ، فأنقله على جهته ، من غير إخلال بشيء منه ، وأتكلم
على معانيه ومقاصده ، منظرًا بين نظائره ، كاشفاً عن دفائنه
وسرائره ، حسبما فعلته فى كتاب « الشيب » . ولأبى تمام فى هذا
المعنى التافه اليسير ، فإنه ما عنى به ، ولا رزق منه . أما البحترى فإنه
كان مغرماً متيماً بالقول فى الطيف ، فأكثر فيه وأغزر ، مع تجويد وإحسان
وافتنان ، وتصرف فيه تصرف المالكين ، وتمكن منه تمكن
القادرين . وسأنبه على مواقع إحسانه ، ومواضع إغرابه ، بإذن الله .

ومما يفيد تقديمه أن « الطيف » قد يوصف بالمدح تارة ، وبالذم
أخرى . ولمدحه وجوه متشعبة .

فما يمدح به أنه يعلل المشتاق المغرم ، ويمسك رَمَقَ المعنى المسقم ،
ويكون الاستمتاع به والانتفاع به ، وهو زور وباطل ، كالانتفاع
لو كان حقاً يقيناً . وهل فرق بين لذة الخيال فى حال تمثيلها وتخيلها ،
وبين لذة اللقاء الصحيح ، والوصال الصريح . وبعد زوال الأمرين ، ومفارقة
الحالين ، ما أجد هما فى فقد متعته ، وزوال منفعته ، إلا كصاحبه .

ومما يمدح به ، أنه زيارة من غير وعد يخشى مطأه ، ويخاف لئله وفوته . واللذة التى لم

تحتسب ولم ترتقب، يتضاعف بها الالتذاذ والاستمتاع ، وأنه وصل من قاطع ، وزيارة من هاجر ، وعطاء من مانع ، وبذل من ضنين ، وجود من بخيل . وللشيء بعد ضده من النفوس موقع معروف غير مجهول .

ومن مליح مدحه وغريبه : أنه لقاء واجتماع لا يشعر الرقباء بهما ، ولا يخشى منع منهما ، ولا اطلاع عليهما . والهمة بهما زائلة ، والريبة عنهما عادلة .

وأنه تمتع وتلذذ لا يتعلق بهما تحريم ، ولا يدنو إليهما تأثيم ، ولا عيب فيهما ولا عار ، وقد قاما مقامهما فيه ذلك أجمع . وهذا المعنى الأخير مما عندي أنى سابق إليه ، ومبتدئ به ، لأننى مارأيت به إلى الآن لأحد فى نظم ولا نثر . وقد تعجب الشعراء كثيرا من زيارة الطيف على بعد الدار ، وشحط المزار ، ووعدة الطرق ، واشتباه السبل ، واهتدائه إلى المضاجع من غير هاد يرشده ، وعاضد يعضده ؛ وكيف قطع بعيد المسافة بلا حافر ولا خف ، فى أقرب مدة ، وأسرع زمان ؟! لأن الشعراء فرضت أن زيارة للطيف حقيقة ، وأنها فى النوم كاليقظة ، فلا بد مع ذلك من العجب مما تعجبوا منه ، من طى البعيد بغير ركاب ، وجوب البلاد بلا صحاب . ومن المعانى المقصودة فى الطيف ، أن يلم بذكر ماهيته وسببه ، والمقتضى لتخيله وتصوره ، كما قال أبو تمام :

نم فما زارك الخيالُ ولكنك بالفكرِ زرت طيفَ الخيالِ

وكما قلت :

وَعَهْدِي بِتَمْوِيهِ عَيْنِ الْحَبِّ تَمِّمْ عَلَى قَلْبِهِ الطَّائِرِ
فَلَمَّا التَّقَيْنَا بِرِغَمِ الرِّقَا دِمَوَّةَ قَلْبِي عَلَى نَاطِرِي

وهذا المعنى أيضا ، مما ابتدعته واخترعه في وصف الطيف ، لأننى
ما علمت سابقا إليه ، وعائرا به .

فأما ذم الطيف ، فإنه قد يذم بأنه باطل وغرور ، ومحال وزور ،
ولا انتفاع بما لا أصل له ، وإنما هو كالسراب اللامع ، وكل
تخيل فاسد .

وربما ذم بأنه سريع الزوال ، وشيك الانتقال ، وبأنه يهيج
الشوق الساكن ، ويضرم الوجد الخامد ، ويذكر بغرام كان صاحبه
عنه لاهيا وساهيا .

وهذه المعانى فى المدح والذم قد تتشعب وتتركب وتمتزج ، فيتولد
بينها من المعانى ما لا ينحصر ولا ينضبط ، بحسب قوة طباع الشاعر ،
وصحة قريحته وغريزته . وستشرف مما أذكره ، وأوقظ على معانيه ، وأخرج
مكامنه ، على جميع ما تحتاج إليه فى هذا الباب ، بمشيئة الله تعالى . ومن الله
أستمد المعونة والتوفيق ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

ما جاء في طيف الخيال

قال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ، من جملة قصيدة :

زار الخيال لها ، لا بل أزاركه فكّر إذا نام فكر الخلق لم يتم
ظبي تقنصته لما نصبت له من آخر الليل أشراكا من الحلم
ثم اغتدى وبنا من ذكره سقم باق وإن كان معسولا من السقم^(١)

ووجدت أبا القاسم الحسن بن بشر الأمدى يتكلم على هذه الأبيات بما أنا أذكره ، ومبين ما فيه . قال : (إن قوله « زار الخيال لها ، لا بل أزاركه » ليس بال جيد ، لأنه إذا أزاره الفكر فقد زار . فما وجه الاستدراك ؟ فكأنه أراد أن الخيال لم يعتمد الزيارة ، وإنما أزاره الفكر . ومثله قام زيد ، لا بل أقفته . وكأن قائل هذا يريد ما اعتمد زيد القيام ، بل أقمته أنا) .

وأقول : إن الأمدى عاب هذا البيت ثم اعتذر لقائله بما هو العذر الصحيح الذى يخرج من أن يكون معيبا . فأى معنى لقوله إنه ليس بالجيد ؟ وقد فطن من غرضه لما فيه العذر ، وزوال العيب والقدح . فكأنه جمع بين الشيء وضده . وإنما يعيب بما ذكره من لم يفتن لما فطن له . وقوله « زار الخيال » إضافة الزيارة إلى

(١) من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الله بن طاهر (ديوانه ٢ : ٤٢) .

الخيال . والظاهر من قول القائل « قام زيد » إضافة القيام إليه على سبيل الاختيار . فيجوز أن يستدرك قائل هذا القول على نفسه ، فيقول عقيب قوله « زار الخيال » ، بل أزاركه كذا وكذا . وعقيب قوله « قام زيد » ، بل أقامه فلان ، لأنه استدراك صحيح ، واقع في موقعه . وليس لأحد أن يخالف في هذه الجملة ، ويدعى أن قول القائل « قام زيد » إنما يفيد حصوله على هذه الصفة ، ولا يفيد أنه باختياره وإشارته ، دون حمل حامل . وبعث باعث . لأن هذا إذا سلم على ما فيه . كان الاستدراك في موضعه أيضا ، لأنه إذا قال « زار الخيال » واحتمل هذا القول زيارة الاختيار ، من غير بعث باعث ، واحتمل وقوع الزيارة عن حمل حامل ، وقود قائد ، جاز أن يزيل هذا القائل الاحتمال والإبهام . فيقول : « لا بل أزاركه كذا وكذا » ، وهذا ما لا شبهة فيه . ثم قال الأمدى : « ويروى : إذا نام فكر الخلق لم ينم » . ثم قال : (لم يرد حقيقة النوم ، وإنما أراد لم يفتروا لم يسكن ، كما يقال فلان لا ينام عن هذا الأمر ، أى لا يفترعنه ولا يقصّر) . ويقول إن الرواية التي ذكرها في إبدال لفظة الخلق بالخلو لا بأس بها ، وإن كان لفظ الخلق أعم وأؤكد في المعنى المقصود ، فإن الخلو ، يدخل في جملة الخلق ، ولا يدخل الخلق في معنى لفظ الخلو . والذي فسره في نفي النوم ، أنه إنما أراد الفتور والسكون ، ظاهر ، لا يشكل مثله فيفسر . ثم قال : (وقوله « من آخر الليل » ولم يقل « من أول الليل » : يريد أنه لا ينام بالليل وأنه يسهره . وإنما يهوم^(١)

(١) هوم الرجل تهوينا : إذا هز رأسه من النعاس .

في آخره تهويما، فيطرقه الخيال في ذلك الوقت) ثم قال : (قوله « وإن كان معسولا من السقم » : أى وإن كان حلوا من الأسقام : أى ممزوجا بالعسل . و يرويه قوم : « وإن كان معسولا من السقم » . وليس بشيء) . قال الأمدى : « وهذه الأبيات حسان ، وغرض صحيح مستقيم » . ونقول : إن الذى قاله الأمدى فى معنى تخصيصه آخر الليل دون باقيه ، جائز ، ممكن أن يكون مقصودا . وفيه وجه آخر ، وهو أن الخيال لا يطرق فى العادة إلا مع وفور النوم وغزارته والاستئقال فيه . وهذا إنما يكون فى أواخر الليل ، ومع استمرار النوم وطول زمانه ، فلهذا خصَّ آخر الليل . وفسر قوله « كان معسولا من السقم » ، مع أنه واضح لا يشكل وترك تفسير المشكل ، وهو أن يقال : كيف استحل هذا السقم والتذه ، حتى جعله معسولا ، وكأنه ممزوج بالعسل ، والسقم لا يستحل . والوجه فى ذلك أن السبب فى ذكره للخيال ، وشوقه إليه ، وأسفه على فراقه ، الذى جعله سقما من حيث كان مؤلما ، لما كان هو طروق الخيال ، وتمثله له وتخيله . وكان ذلك التخيل والتصور ملذا ممتعا ، مستحلى مستعذبا ، جعل المسبب عنه من التألم بقوته بمنزلته . فقد يوصف المسبب بأوصاف السبب ، للعلاقة التى بينهما ، والاتصال الذى يجمعهما . وما رأيناه أثنى على البيت الثانى من هذه القطعة ، ولا مدحه بما يستحقه من المدح ، فإنه فى غاية الحلاوة والطلاوة ، وسلاسة الألفاظ ، وعذوبة النسج . وقدح فى البيت الأول بما ليس يقدح على اعترافه ، فليته

جمع بين القدح للمقدوح ، والمدح للممدوح . فإن قال : قد مدحت جملة الأبيات ، وقلت إنها حسان ، وأغراضها مستقيمة . قلت : هذا مدح تكلفته ، وما نراك إذا أعجبك وأطربك معنى للبحثى ، تقتصر على هذا القدر من المدح . وقد كان ينبغي أن تخص البيت الثانی بزيادة الإطراء والمدح ، وتوقظ على جودة طرحه وسبكه ، فإنه لا يجري مجرى ماتقدم عليه ولا تأخر عنه ، وما فعلت ذلك .

وقال أبو تمام أيضا من قصيدة :

عَادَكَ الزَّوْرُ لَيْلَةَ الرَّمْلِ مِنْ رَمْلَةٍ بَيْنَ الْحَمَى وَبَيْنَ الْمَطَالِي
نَمْ فَمَا زَارَكَ الْخِيَالُ وَلَكِنَّكَ بِالْفِكْرِ زُرْتَ طَيْفَ الْخِيَالِ^(١)
قال الأمدى : (قدأكثر أصحاب أبي تمام الفخر بهذا البيت ، والتنويه
بذكره ، وأفرطوا في استحسانه ، وقالوا كشف عن العلة في طروق الخيال ،
وبين عن المعنى) . قال : والبيت حسن ، وإنما أخذ معناه من قول
جبران العود :

أَهْلًا بِطَيْفِكَ مِنْ زَوْرٍ أَتَاكَ بِهِ حَدِيثُ نَفْسِكَ عَنْهُ وَهُوَ مَشْغُولُ
فقوله « وهو مشغول » : أى أنه لم يترك على الحقيقة ، فبنى أبو تمام من هذا
قوله « ما زارك الخيال » ، وبنى من قوله « أتاك به حديث نفسك » قوله

« ولكنك بالفكر زرت طيف الخيال » : فالتعنى كله لجران العود، وإنما غير أبو تمام اللفظ .

وما كان عندي أن مثله يذهب عليه ما قصده أبو تمام مع وضوحه . ومعنى « وهو مشغول » : أى وهو مشغول عنك ، لا تخطر بباله ، ولا يحدث نفسه بك . كما تحدث نفسك به ، ويخطر ببالك ولا يفارق ذكرك . وأراد أن يقال : قوله : حديث نفسك عنه الذى جعله سبباً للطيف وتخيله ، فقابل بقوله « وهو مشغول » : أى لا يحدث نفسه بك ، كما تحدث نفسك به .

فأما طعن الأمدى على الأبيات الميمية التى لأبى تمام ، ودعواه أنه لا حلاوة لها ولا طلاوة ، فمن قبح العصبية ، لأن قوله :

الليالى أحفى بقلبي إذا ما جرحته النوى من الأيام

صحيح الوضع ، مليح المعنى ، لأنه إذا كان لاتلاقى بينه وبين محبوبه نهارة ، ولا وصل ولا قرب ، وأن ذلك كله يكون ليلاً ؛ فالليل أنفع له من النهار وأمتع . وأى شيء يراد من أبى تمام أن ينتهى إليه فى هذا البيت أكثر من هذا ؟ وأما البيت الثانى فجيد المعنى ، مليح اللفظ . ومن عذب اللفظ وغريبه قوله « سراً من الأجسام » لأنه لاحظ للأجسام ، فى الانتفاع بطيف الخيال ، وجعل ذلك التمثيل والتخيل إنما هو للأرواح ، منفردة عن لأجسام ، على مذهب من يرى من الفلاسفة أن السبب فى رؤيا المنام ، طلاع النفس من عالمها على ما يكون من الأمور ، ويجعلون للنفس ثياباً

وقواما من غير توسط الجسد. وهذا، وإن كان مذهبا باطلا، فقد دلت الأدلة الصحيحة على فسادِه، فيجوز أن يستعيره الشاعر في بعض كلامه تعريبا وتقريبا.

قال - أدام الله علوه - ولي على هذا البيت في وصف الخيال :

تلاقينا بأرواحٍ وفارقنا بأجسادٍ

وقال - أدام الله علوه - وستجىء هذه الأبيات فيما أخرجه من ديوان شعري بمشيئة الله .

فأما البيت الثالث الذي أوله « مجلسٌ لم يكن لنا فيه عيبٌ » فهو قريب ، وليس يهجنه إلا لفظة الدعوة ، فإنها كلمة عامية ، قلما يستعملها فصحاء الشعراء . فالطعن على هذه الأبيات على ما بيناه عصبية ظاهرة . ولي في تحقيق السبب في طيف الخيال ، ونفى أن تكون زيارته حقيقية ، ما هو أجود من قول أبي تمام :

* زَارَ الْخِيَالُهَا ، لَا بَلْ أَزَارَكُ *

ومن قوله :

نَمْ فَمَا زَارَكَ الْخِيَالُ وَلَكِنَّكَ بِالْفِكْرِ زُرْتَ طَيْفَ الْخِيَالِ

وهو قولى :

زَارَ وَمَا زَارَ سِوَى ذِكْرِهِ وَبَيْنَنَا دَاوِيَّةٌ^(١) سَمَلَقُ

(١) الداوية : الصحراء المترامية الأطراف . والسملق التى لا نبات فيها .

وقولى أيضا :

حتى التَقِينَا عَلَى رَغَمِ الرُّقَادِ وَمَا ذَاكَ اللِّقَاءِ سِوَى وَسْوَاسِ ذِكْرَاكَ
أما سلب الطيف العلم بما وقع الانتفاع به منه ، وأنه لا يدري ولا
يشعر به ، فالبحترى يعيده ويبيديه . ويأتى فى شعرى منه الكثير بصور مختلفة ،
وصيغ غير مستبهاة . ومع الاشتراك فى المعانى ، إنما يقع الإحسان فى حسن
النسج ، وسلامة السبك ، وأن تكون العبارة عن ذلك المعنى ناصعة ،
وفى القلوب متقبلة .

وقال البحترى أيضا :

إِنَّ رَبِّاً لَمْ تَسْقِ رَبِّاً مِنَ الْوَصْلِ وَلَمْ تَذْرِ مَا هَوَى^(١) الْعُشَاقِ
بَعَثْتَ طَيْفَهَا إِلَى دُورِنِ وَخَدُّ شَهْرَيْنِ لِلْمَهَارِى الْعِتَاقِ^(٢)
زَارَ وَهْنًا مِنَ الشَّامِ فَحَيًّا مُسْتَهَامًا صَبَا بِأَرْضِ^(٣) الْعِرَاقِ
فَقَضَى مَا قَضَى وَعَادَ إِلَيْهَا وَالذُّجَى فِي بُرُودِهِ^(٤) الْأَخْلَاقِ
قَدْ أَخَذْنَا مِنَ التَّلَاقِ^(٥) بِحَظٍّ وَالتَّلَاقِ فِي النَّوْمِ عِدْلُ التَّلَاقِ^(٦)

يعنى بقوله : « عِدْلُ التَّلَاقِ » : فى الحقيقة ، أى فى اليقظة . وهذه

(١) ديوانه : جوى . (٢) المهارى : جمع مهريّة ، وهى الإبل المنسوبة

لمهرة بن حيدان ، وهم حى عظيم . والعِتَاق : الكريّمات الأصول .

(٣) ديوانه : بأعلى . (٤) ديوانه : ثيابه . (٥) ديوانه : اللقاء .

(٦) من قصيدة له يمدح بها أبا نهشل (ديوانه طبع هندية بالموسكى ٢ : ١٣٧) .

الآبيات لا شبهة على متعصب ، فضلا عن منصف ، في حسنها ونصوعها .
وقال أيضا :

وزائرٍ زارَ من أَعَقَّتِهِ يَمِيلُ وَزَنًا بَأَنسِهِ ذُعْرُهُ
كَأَنَّهُ جَاءَ مُنْجِزًا عِدَّةً وَبِثُّ فِي الرَّاقِبِينَ أَنْتَظِرُهُ
لَمْ أَنْسَهُ مُوشِكًا عَلَى رَجُلٍ مُدَاجِجًا لِلْحَدِيثِ يَخْتَصِرُهُ
كَأَنَّمَا الْكَاشِحُونَ قَدْ خَرَصُوا مَكَانَهُ أَوْ أَتَاهُمْ خَبْرُهُ^(١)

ومن العجب أن الأمدى ذكر أن هذه الآبيات أحسن وأحلى من
التي هي قبلها . والأمر بخلاف ما ظنه ؛ لأن آبيات « القافية » أطبع وأنصع ،
وأبعد من الكلفة ، والصنعة فيها أخفى ، وكلامها أحلى . وهذه الآبيات
الرائية معانيها أجود من ألفاظها ، وتظهر فيها بعض كلفة الصنعة ، وهي مع
ذلك في غاية الحسن ، إلا أن تفضيلها على الأولى غير صحيح . وأما قوله « يميل
وزنًا بآنسه ذعْرُهُ » فإنما يريد به أن ذعره أرجح وأزيد من آنسه . فأما قوله
« قد خَرَصُوا مكانه » فإنما يريد أنهم قد خَرَصُوا مكانه ، وسبق ظنهم إليه ،
من الخرص ، الذي هو خَرَزُ ثمرة النخل ، لا من الخرص الذي هو الكذب .
وهذه الآبيات ليست خالصة لوصف الطيف ، بل يجوز أن يكون المراد بها
زائر زار في اليقظة . فالكلام محتمل في الطيف وغيره .

(١) الآبيات ليست في نسخة الديوان طبعة هندية ، واه شعر كثير لم ينشر بعد .

وقال البحرى - أيضا من قصيدة :

إِنَّ الْعَمِيدَ صَابَةً مَنْ لَا يَنِي يَدْعُو صَبَابَتَهُ الْخِيَالَ إِذَا سَرَى
تَذَرِينَ كَمْ مِنْ زَوْرَةٍ مَشْكُورَةٍ مِنْ زَائِرٍ وَهَبَ الْخَطِيرَ وَمَا دَرَى
غَابَ الْوِشَاةُ فَبَاتَ يَسْهَلُ مَطْلَبُ لَوْ يَشْهَدُونَ طَرِيقَهُ لَتَوَعَّرَا
كَانَ الْكَرَى حَظَّ الْعُيُونِ وَلَمْ أَخْلُ أَنَّ الْقُلُوبَ لَهُنَّ حَظٌّ فِي الْكَرَى
دَمْعٌ تَعَلَّقَ بِالشُّوْنِ فَلَمْ يَزَلْ بَرَحُ الْغَرَامِ يَسُوقُهُ حَتَّى جَرَى
قَامَتْ تُنْمِنُنِي الْوِصَالِ لَتَبْتَلِي جَذَلِي وَحَاجَةً أَكْمَهُ أَنْ يُبْصِرَا
مَنْيَتِنَا عَدَلًا وَمَا أَنَّهُلْتِنَا وَالْوَقْتُ لَيْسَ يُحِيلُ حَتَّى يُشْهَرَا
تَاللَّهِ لَمْ أَرَ مُذْ رَأَيْتُ كَلِيدَتِي فِي الْعَلَثِ إِلَّا لَيْلَتِي فِي عُكْبَرَا
أَهْوَى الظَّلَامَ وَأَنْ أُمْلَأَهُ وَقَدْ حَدَرَ الصَّبَاحُ نَقَابَهُ أَوْ أَسْفَرَا^(١)

قال الأمدى : « وهذا لعمرى القول الذى لو ورده الظمان لروى ،
لكثرة مائه » . وأقول : إنه قد تقدم فيما أوردناه للبحرى من هذا الباب ،
ما هو من هذه الأبيات أنصع وأطبع ، وأحلى وأعلى ، وأعبق بالقلوب ،
وأعلق بالنفوس . فأما قوله :

كَانَ الْكَرَى حَظَّ الْعُيُونِ وَلَمْ أَخْلُ أَنَّ الْقُلُوبَ لَهُنَّ حَظٌّ فِي الْكَرَى
فلقائل أن يقول : أى حظ للقلوب فى الكرى لم يخله ثم وجده ؟
وأى حظ معهود للعيون من الكرى ؟ فإن هذا ليس يبين فى كلامه .

(١) ديوانه طبع هندية (٢١ : ٢) من قصيدة يمدح بها إسحاق بن كنداج .

والجواب : أن العيون من حيث تَوَدَّعت وسكنت عن موالاة النظر والتحديق المتعين لها : كان لها بذلك حظٌّ من الكرى دون القلوب . فإن خواطر القلوب وأفعالها تكون في النوم واليقظة . وما تراد له العيون لا يكون في اليقظة دون النوم . ولما كان الخيال في النوم يتمثل للقلب ويُتَخِيل ، فيسر القلب بذلك التخيل ، ويعتقده حقيقة ، ويلتذ به عاجلاً ، وينتفع به ، كان للقلوب حظ في الكرى لم يكن في حسابه . وهذا تدقيق منه .

وأما قوله :

مَنْيَتِنَا عَلَاً وَمَا أَهْلَتِنَا وَالْوَقْتُ لَيْسَ يُحِيلُ حَتَّى يُشْهَرَا
فالعلل هو الشرب الثاني . والنهّل هو الشرب الأول . يعجب من أنها تمنيه الشرب الثاني ، ولم يكن منها شرب أول ، ومن لم ينهل لم يُعل ، كما أن الزمان لا يحيل ، بأن يصير حولاً حتى يُشهر ، بمعنى أنه يكون شهراً ، فإن الشهر قبل الحول . كما أن النهّل قبل العل . فأما قوله : « أهوى الظلام وأن أملاه » : فما زالت الشعراء تتمنى الليل والنوم فيه لطروق الطيف . واعتادنى ليلاً ، فجعلوه مختصاً بالاعتیاد والطروق ليلاً . ولم يستعمل الشعراء ذلك في قديم ولا حديث ، إلا فيما ذكرناه . قال امرؤ القيس :

* تأو بنى دأى القديم فغلّسا *

والشواهد على هذا أكثر من أن تحصى . والبيت الخامس عليه رونق

الإحسان ، و الصنعة فيه كأنها منقودة ؛ للطبع المتدفق ، والماء المتفرق

وقال البحتري أيضا من قصيدة^(١) :

أَمَّا رَأَاكَ الْحَيُّ الْحِلَالُ بِهِ جَرِهِمْ وَهُمْ لَكَ غَدَوًا بِالتَّفَرُّقِ أَرُوعُ
بَلَى ، وَخِيَالٌ مِنْ أَثِيلَةٍ^(٢) كُلَّمَا تَأَوَّهْتُ مِنْ وَجْدٍ تَعَرَّضَ يَطْمَعُ
إِذَا زُورَةٌ مِنْهُمْ تَقَضَّتْ مَعَ الْكَرَى تَنَبَّهْتُ مِنْ وَجْدٍ لَهُ أَتَفَزَّعُ
تَرَى مُقَلَّتِي مَا لَا تَرَى فِي لِقَائِهِ وَتَسْمَعُ أَذْنِي رَجَعَ مَا أَيْسَ تَسْمَعُ
وَيَكْفِيكَ مِنْ حَقٍّ تَخَيَّلُ بَاطِلٌ تُرَدُّ بِهِ نَفْسُ اللَّهِيْفِ فَيَرْجِعُ

قال الأمدى : (ولست أقول في هذا إلا ما كان البحتري يقول) وحدثنا به أبو علي محمد بن العلاء السَّجِسْتَانِيَّ أَنَّهُ كَانَ إِذَا شَرِبَ وَسَكَرَ ، أَنَشَدَهُ مِثْلَ هَذَا وَأَشْبَاهَهُ مِنْ شَعْرِهِ ، وَقَالَ : « أَلَا تَسْمَعُونَ ؟ أَلَا تَعْجَبُونَ ؟ » .
ويقول : إن الأبيات ناصعة الجمال ، بعيدة المنال . وفي البيت الأخير الذي أوله :

* وَيَكْفِيكَ مِنْ حَقٍّ تَخَيَّلُ بَاطِلٌ *

معنى جليل القدر ، ثقل الوزن ، له غور عميق ، وأس وثيق . وإنما أراد البحتري : أن الذي يراد من الحق من بل الغلة ، وإمساك الرَّمَقِ ،

(١) يمدح بها أبا عيسى بن صاعد (ديوانه ٢ : ٨٧) .

(٢) ديوانه : قتيلة ، في مكان : أثيلة .

وتمتع النفس ، هو في هذا الباطل : فقد تساوى في الغرض المقصود ، وقام الحق فيه مقام الباطل .

وقال البحتري^(١) أيضا :

أخيالَ علوة كيف زُرْتُ وَعِنْدَنَا أَرَقُّ يُشَرِّدُ بِالْخِيَالِ الزَّائِرِ
طيفُ أَلْمُ بِنَا وَنَحْنُ بِمَهْمَةٍ قَفَرِ^(٢) يَشُقُّ عَلَى الْمِلْمِ الْخَاطِرِ
أَفْضَى إِلَى شُعْثٍ تُطِيرُ كَرَاهِمُ رَوَّحَاتُ قُودٍ كَالْقِسِيِّ ضَوَامِرِ
حَتَّى إِذَا نَزَعُوا الدُّجَى وَتَسَرَّ بُلُؤَا مِنْ نُورٍ^(٣) هَلْهَلَةَ الصَّبَاحِ النَّائِرِ
وَرَمَوْا إِلَى شُعْثِ الرَّجَالِ^(٤) بِأَعْيُنِ يَكْسِرْنَ مِنْ نَظَرِ النِّعَاسِ الْفَائِرِ
أَهْوَى فَأَسْعَفَ بِالتَّحِيَّةِ خِلْسَةً وَالشَّمْسُ تَلَمَعُ فِي جَنَاحِ الطَّائِرِ
سِرْنَا وَأَنْتِ مُقِيمَةٌ وَلَرُبَّمَا كَانَ الْمَقِيمُ عَلاقَةً لِلْسَّائِرِ
قال الأمدى :

« وهذا والله الكلام العربي ، والمذهب الذي بُعِدَ على غيره أن يأتي بمثله » . ونقول : إن الوصف يقصر عن بلاغة هذه الأبيات وبراعتها وسلامتها ، وإنما يعجب من طروق الخيال مع الأرق الذي يشرد الخيال ، فلا يكون معه في موضع العجب . ولا بد من أن يكون قد أغفى بعض الإغفاء مع طول الأرق ، ومعالجة السهر ، فطرقة طيف الخيال في ذلك

(١) من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الله بن طاهر (ديوانه ٢ ٤٢) .

(٢) ديوانه : مرت . (٣) ديوانه : فضل . (٤) ديوانه : شمع الرحال .

التهويم الخفيف الضعيف . فأما قوله « يشق على النمل الخاطر » . فلم يرد
خاطر القلب، لأن ذلك لا معنى له في هذا الموضع ، وإنما أراد الماشى ، لأنهم
يقولون خَطَرَ البعير يَخْطُر خَطَرًا : إذا مشى فضرب بذنبه يمينا وشمالا .
والقود الطوال . ووصف الإبل بأنها مع الطول كالقسي من النحول
والضمير . فأما قوله « هلهلة الصباح » ، فالعرب تقول ثوب مهلهل وهلهال
وهلهمة ، وهو الرقيق النسج . ومنه قيل لنسج العنكبوت الهلهل . وإنما
وصف البحتري أوائل ضوء الصباح النائر ، وإنما أراد المنيرة ، وفي ذلك
لغتان نار وأنار . قال الفراء : أنار الطريق ونار . وذكر مثل ذلك يعقوب .
وقال قطرب : نارت النار وأنارت ، ونار البرق وأنار . فأما العلاقة بفتح
العين فهي علاقة الحب . وبكسر العين هي : علاقة السوط وغيره .

قال البحتري أيضا^(١) :

إذا ما الكرى أهدى إلى خياله سقى قرْبُهُ التَّبريحَ أو نَقَعَ الصَّدَا
إذا انتزَعَتْهُ من يَدَيَّ انتباهةً عَدَدَتْ حَبِيبًا راحَ مِنِّي أو غدا
ولم أرَ مثليْنَا ولا مثلَ شأِنِنَا نَعَذَّبُ أيقاظًا ونَنَعِمُ هُجْدَا

أما الصَّدَى ههنا : فهو العطش ؛ ومعنى نَقَعَ الصدى : أى رواه .

والبيت الثالث في هذه الأبيات في غاية الحسن والقوة والسلامة .

(١) من قصيدة يمدح بها المعتر بالله ، ويستشفعه إلى ابنه عبد الله (ديوانه

وقال البحتري أيضا :

أقامت على الهجران ما إن تجوزه وخالفها بالوصل طيف لها يسرى
فكم في الدحى من فرحة بلقائها وكم ترحة بالبين منها لدى الفجر
إذا الليل أعطانا من الوصل بنة تذاشني سير الصباح إلى الهجر
ولم أنس إسعاف الكرى بدنوها وزورتها بعد الهدوء وما تدرى

ويتمنى تطاول الليل وتماديه ، ليتطاول ويتمادي زمان المتعة بالطيف
واللذة ، بتخيله وتمثله . وهذا باب واسع وطريق مهيئ .

ومن رقيق ما قيل فيه قول ابن المعتز .

أيا^(١) بديعا بلا شبيهه ويا حقيقا بكل تيه
ومن جفاني فلا أراه هب لي رقادا أراك فيه

وهذا نظير قول الشاعر :

يا نازحا نرحت عيني قطيعته هب لي من الدمع ما أبكى عليك به

فإن قيل إنما استوهب ابن المعتز من الرقاد ما هو في يد محبوبه ، لأنه
يملك هجره وبعاده فيسهل ، وليس يملك المحبوب مادة الدمع فيسأل فيها .
والجواب عن ذلك : أن الأمرين واحد ، لأن المعشوق يقدر على كل ما يبكي
به عاشقه ، ويذرى دموعه ، ويجلب ماءها ويستنفده ، ويقدر على الكف

عن ذلك، فيبقى دموعه بكاملها، ولا يُصْفِر^(١) ما قيه منها . فما سأل الشاعران
إلا ما هو ممكن غير مُغَوَّر .

وقال البحتري^(٢):

بِتْ أُبْدِي وَجْدًا وَأَكْتُمُ وَجْدًا لَخِيَالٍ قَدْ بَاتَ لِي مِنْكَ يُهْدَى
فَسَمَ الظَّنُّ فِيهِ أَنِّي تَخْطِي الرَّمْلَ مِنْ عَالِجٍ وَأَنِّي تَهْدَا
خَطَاً مَا أَزَارَنَاهُ طُرُوقًا أَمْ تَوَخَّيْهِ لِلزِّيَارَةِ عَمْدًا
جَاءَ يَسْرِي فَأَشْرَقَتْ أَرْضُ نَجْدٍ لِسُرَاهُ وَوَاصَلَ الْغَيْثُ نَجْدًا
لَا يَخِيبُ الْبِلَادُ تَخْطُرُ فِيهَا رُسُلُ الشُّوقِ مِنْ خَيَالَاتِ سُعْدَى
وَعَدْتُنَا فَمَا وَفَتْ بِوِصَالٍ وَوَفَتْ حِينَ أَوْعَدَتْ أَنْ تَصُدَّا
قَرَّبَ الطَّيْفُ مُنْتَهَاها فَأَصْبَحَتْ حَدِيثًا بِدَاقِضِ الْعَهْدِ عَهْدًا
وقال أيضا :

مِنْكَ طَيْفٌ أَلَمٌ وَالْأَفْقُ مَلَا نُ مِنَ الْفَجْرِ وَاعْتَرَضَ عَمُودُهُ^(٣)
زَائِرٌ ، أَشْرَقَتْ لِرُؤُوسَيْتِهِ أَغْـ وَارُ أَرْضِ الْعِرَاقِ بَعْدَ نَجُودِهِ
أَرَبُ النَّفْسِ كُلُّهُ وَمَتَاعُ الْـ عَيْنِ فِي خَدِّهِ وَفِي تَوَزِيدِهِ
مُعْطِيًا مِنْ وَصَالِهِ فِي كَرَى النَّوْ مِ الَّذِي كَانَ مَا نَعَا فِي صُدُودِهِ
يَقْظَاتُ الْمُحِبِّ سَاعَاتُ بُوسَا هُ وَنَعْمَاهُ^(٤) عَيْشِهِ فِي هُجُودِهِ

(١) بصفر: يخل . (٢) من قصيدة يمدح بها ابن الفرات (٢٠٦ : ١ ط هندية) .

(٣) من قصيدة يمدح بها الخضر بن أحمد الثعلبي ، ديوانه (١ : ١٦٨ هندية) .

(٤) الديوان : نعا .

أما وصف خيال المحبوب بأنه يبذل في النوم ما كان يضمن به في اليقظة ، ويصل في هذه الحال بعد صدوده في غيرها ، وأن النعيم والمنفعة في الهجود مع طيف الخيال ، كما أن الشقاء والمضرة في اليقظة مع هجر الحبيب وصدوده ، فهو جادة سلوكه ، وجهة مأنوسة للشعراء ، وسيجىء في شعري من ذلك ماسيقف عليه بمشيئة الله . والحكم في تجويد وتقصير ، وإحسان وإساءة ، إلى من عرف ثم أنصف .

وقال البحتري^(١) أيضا :

وما انفك دأعي البين حتى تزاينات قباب بناها حاضراً وخياماً^(١)
عشية ما بي عن شبث ترحل فأمضي ولالي في شبث مقام
فما^(٢) نلتقي إلا على حلم هاجد يحل لنا جدواك وهو حرام
إذا ما تبادلنا^(٣) النفائس خلتنا من الجد أيقاظاً ونحن نيام

قال الآمدي : « وهذا قول ليس بينه وبين القلب حجاب » ، وقد صدق في مقالته ، وأنصف في شهادته . ومعنى قوله : « يحل لنا جدواك وهو حرام » : إنا نظفر في الحلم بما كنا نرد عنه في اليقظة ، وننال ما كنا نذاد عنه . فعبر عن البذل بالتحليل ، وعن المنع بالتحريم ، وهذا مليح ، ومن بارع البلاغة والفصاحة ، لأن الحظر والتحريم منع من الشيء وإن فعل والتحليل بذل له وإن هجر قال - أدام الله علوه - والذي أرويه : « يحل لنا جدواك وهي حرام » ، لأن الجدوى مؤنثة . وقد رواه الآمدي على

(١) من قصيدة يعتذر فيها إلى يعقوب بن أحمد بن صالح ديوانه (٢ : ٢٤٩ ط

هندية) . (٢) ديوانه : وما . (٣) ديوانه : تبادلنا .

التذكير . وقد يجوز ذلك على المعنى ؛ لأن معنى الجدوى هو العطاء
والفضل والإحسان .

وقال البحرى^(١) :

أَرْجَمُ فِي كَيْلِ الظُّنُونِ وَأَرْجَى أَوَاخِرَ حُبِّ أَخْلَفْتَنِي أَوَائِلُهُ
وَلَيْلَةٌ هَوَمْنَا عَلَى الْعَيْسِ أَرْسَلَتْ بِطَيْفِ خِيَالٍ يُشْبِهُ الْحَقَّ بَاطِلُهُ
فَلَوْلَا بَيَاضُ الصُّبْحِ كَانَ تَشْبِيهُي بِعُطْفَى غَزَالٍ بَتُّ وَهْنًا أَغَارِلُهُ
وَكَمْ مِنْ يَدٍ لِلَّيْلِ عِنْدِي حَمِيدَةٌ وَلِلصُّبْحِ مِنْ خُطْبٍ تَذُمُّ غَوَائِلُهُ

قوله « يُشْبِهُ الْحَقَّ بَاطِلُهُ » من مליح الكلام ومقبوله . وقال الأمدى
عقيب هذه الأبيات : وهذا كله إنما حسن هذا الحسن ، وقبلته النفوس ،
لأنه اعتمد أن يخبر بالأمر على ما هو به ، من غير زيادة ولا نقصان . لافصاحة
لكلامه ، ولا بلاغة ولا براءة . وكم من مخبر عن الشيء على خلاف ما هو
به ، لكلامه القبول ، وإلى القلوب الوصول . وهذا يدل على أن حظ
الألفاظ في الكلام الفصيح منظوما ومنثورا أقوى من حظ المعاني .
وقد نهت على ذلك في مواضع من كلامي ، من أراد الاستقصاء
وقف عليها .

(١) هذه الأبيات ليست في ديوانه طبع هندية .

وقال البحتري أيضا^(١) :

ما تَقْضَى لُبَانَةٌ عِنْدَ لُبْنَى وَالْمَعْنَى بِالْغَانِيَاتِ مُعْنَى
هَجَرْتَنَا يَقْضَى وَكَادَتْ عَلَى مَذْ^(٢) هَبَّهَا فِي الصُّدُودِ تَهْجُرُ وَسْنَى
بَعْدَ لَأْيٍ وَقَدْ تَعَرَّضَ مِنْهَا طَائِفٌ^(٣) عَرَّجَتْ عَلَى الرِّكْبِ وَهَنَا
وَرَأَيْتُ أَبَا الْقَاسِمِ الْآمِدَى — مَعَ حَسَنِ رَأْيِهِ فِي الْبَحْتَرَى ، وَمِيلِهِ إِلَيْهِ —
يَزْعَمُ أَنَّهُ أَخْطَأَ فِي قَوْلِهِ :

هَجَرْتَنَا يَقْضَى وَكَادَتْ عَلَى مَذْ هَبَّهَا فِي الصُّدُودِ تَهْجُرُ وَسْنَى
قال : لأن خيالها يتمثل له في كل أحوالها ، يقضى كانت أو وسنى . قال :
لكن الجيد في هذا المعنى قوله :

أَرَدُ^(٤) دُونَكَ يَقْضَانًا وَيَأْذَنُ لِي
عَلَيْكَ سُكْرُ الْكَرَى إِنْ جِئْتُ وَسْنَانًا

قال : [والذي أوقع البحتري في هذا الغلط ، قول قيس بن الخطيم :
مَا تَمْنَعِي يَقْضَى فَقَدْ تَوُتَيْنَهُ فِي النُّومِ غَيْرَ مُصَرَّرٍ مُحْسُوبِ
قال : وكان الأجود أن يقول ما تمنع في اليقظة فقد توتينه في النوم .

(١) هذه الأبيات مطلع قصيدة مدح بها ابن الفياض (انظر ديوانه ٢ : ٢٩٠)

طبع هندية) . (٢) ديوانه : عاداتها .

(٣) ديوانه : طائف طاف بي على الركب وهنا .

(٤) هذا البيت ليس في ديوانه طبع هندية .

أى ما تمنعينه فى يقظتى فقد تؤتينه فى حال نومى ، حتى تكون اليقظة والنوم منسويين إليه . ثم قال : إلا أنه يتسع من التأويل فى هذا لقيس ، مالا يتسع للبحترى ؛ لأن قيسا قال فقد تؤتينه نائمة . وقد يجوز أن يحمل على أنه أراد ما تمنعيني يقظى وأنا يقظان ، فقد تؤتينه فى النوم ، أى فى نومي . ولا يسوغ مثل هذا فى بيت البحترى ، لأنه قال وسنى ولم يقل فى الوسن . ونقول إنه قد يمكن من التأويل للبحترى فى بيته ، ما لم يمكن مثله لقيس ، لأن البحترى لما قال وسنى ، أتى بلفظة تدل على حال الوسن . والحال المعهود للوسن حال يشترك الناس فيها فى النوم بالمعاد ، كما أن الحال المعهودة لليقظة حال مشتركة فى العادة ، فقوله وسنى تنبى عن كونه هو أيضاً نائماً ، وإنما أراد المقابلة بين يقظى ووسنى . وقول البحترى يقظى : الأولى أن يُحمل على أن المراد به أنها هجرت فى أحوال اليقظة . ومعنى يقظى يتعدى إليه . ألا ترى أن الآمدى حمل قول قيس « يقظى » على معنى وأنا يقظان وإن تبين الوجه فيه ؟ فكيف لم يفطن لمثل ذلك فى قول البحترى ؟ وقوله « وسنى ويقظى » مثل قول قيس « يقظى » . ولو مكن قيساً وزن الشعر من أن يقول « وسنى » فى مقابلة « يقظى » ، لعله ما عدل عنه إلى أن يقول فى النوم ، لأنه لم يكن عليه فى وسنى إلا ما عليه فى يقظى ، وما يتأول له فى أحد الأمرين يتأول بمثله فى الآخر .

فأما أبيات قيس هذه فى الطيف ، فقد سبق فيها إلى كل معنى غريب

عجيب ، وهو قدوة في هذا المعنى لكل من تبعه تبع أثره . والأبيات :

أَتَى سَرَبَتْ وَكُنْتُ غَيْرَ سَرُوبٍ وَتَقَرَّبُ الْأَحْلَامَ غَيْرُ قَرِيبٍ
مَا تَمْنَعِي يَقْطَعِي فَقَدْ تَوَيْدِنَهُ فِي النُّومِ غَيْرَ مُصَرَّرٍ مُحْسُوبٍ
كَانَ لَنِي بِلِقَائِهَا فَتَقِيَّتُهَا فَاهْوَتْ مِنْ كَهْوِ امْرِئٍ مَكْذُوبٍ

أما قوله : « وكنت غير سروب » ولم يقل : وكنت غير سارية ؛ فله معنى عجيب : لأن السارب هو السائر نهاراً ، كما أن السارى هو السائر ليلاً . ومن لم يسر نهاراً مع وضوح المسالك ، والاهتداء إلى المقاصد ، والأنس بضياء النهار ، كيف يسرى في الظلام وهو على الضد من هذه المعاني ؟ فالعجب منه واقع في موقعه . وقوله « وتقرّب الأحلام غير قريب » من مליح الإشارة إلى غرور الطيف ، وكذب تخيله . فأما المصّرّد : فهو القليل . والتصريد : التقليل . وتحتل لفظة محسوب شيئين : أحدهما التقليل أيضاً ، لأن الشيء القليل يوصف بأنه محسوب وهذا التأويل أحد الوجوه في قوله تعالى : « يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ » ، فكأن الشاعر أكد قوله : « غير مصّرّد » بأنه أيضاً غير محسوب ؛ كل ذلك لنفي التقليل . والوجه الآخر أن يكون معنى محسوب : أى متوقع منتظر ، كما يقال : لم يكن كذا وكذا في حسابي : أى ماتوقعته ولا انتظرته . فكأنه قال : تويدينه في النوم غير مقلّل ، ولا متوقع منتظر ، لأن زيارة الطيف في النوم ليست مما ينتظر ويتوقع . وقوله فلقيتها : معناه : فلقيت خيالها ،

لأنه لو كان لقيها لما كان مكذوبا . وقوله : « فلهوت هو امرئ
مكذوب » من فصيح العبارة ، وأحسنها معنى .

وقال البحتري أيضا^(١) :

أَمَامِعِينَ عَلَى الشَّوْقِ الَّذِي غَرَبَتْ بِهِ الْجَوَانِحِ وَالْبَيْنِ الَّذِي أَفْدَا^(٢)
كَيْفَ اللِّقَاءِ وَقَدْ أَضْحَتْ مُخَيَّمَةً بِالشَّامِ لَا كَثَبًا مِنْهَا وَلَا صَدَدًا^(٣)
تَهَاجَرُ أُمٌّ لَا وَضَلَ يَخْذِلُهُ إِلَّا تَزَاوُرُ طَيْفَيْنَا إِذَا هَجَدَا
وَقَدْ يُزِيرُ الْكَرَى مِنْ لَازِيَارَتِهِ
قَصْدٌ وَيُدْنِي الْهَوَى مِنْ بُعْدٍ مَنْ بَعْدَا
بِنَنَا عَلَى رِقَبَةِ الْوَاشِينَ مُكْتَنِفِي
صَبَابَةً نَتَعَاطَى^(٤) الْبَثَّ وَالْكَدَا
أَمَا سَأَلْتَ بِشَخْصَيْنَا هُنَاكَ فَقَدْ
غَابَا ، وَأَمَّا خِيَالَانَا فَقَدْ شَهِدَا
وَلَمْ يَعُدْ لَهَا طَيْفٌ فَيَفْجَوْنِي
إِلَّا عَلَى أَبْرَحِ الْوَجْدِ الَّذِي عَهْدَا

(١) هذه الأبيات من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان انظر ديوانه ١ : ١٢٤

طبع هدية . (٢) أفدا : أصاب الفؤاد .

(٣) الصدد : ناحية الشيء . (٤) ديوانه : ننشأ كي .

قال الآمدى : « لو كان قال : إلا تراور طيفينا إذا هجدنا ، كان
عندى أجود . فكان المعنى : إني إذا هجدت رأيتها في النوم . فكان
نفسى ونفسها اجتمعتا ، وكذلك إذا هجدت هي ترى مثل ما رأيت ،
ويكون « طيفينا » محولا على معنى نفسينا ، لأن النفس هي التي ترى
ما ترى في النوم ، وهي التي تتمثل أيضا ما تتمثل في اليقظة . وقد يسوغ
مع هذا أيضا قوله : « إذا هجدوا » : يريد النفسين ، لأن نفس الإنسان
هي التي تنام ، كما قال الله تعالى : « والتي لم تمت في منامها » . ونقول إنه
لا شبهة في أنه لو قال البحترى : « إلا تراور طيفينا إذا هجدا » لكان
صحيحا مستقيا ؛ لكن وزن الشعر لم يمكنه من ذلك ، فعدل إلى لفظ
آخر ، وما أراد إلا هذا المعنى بعينه ، لأن الطيفين اللذين هما ما يتمثل
في النوم ويتخيل ، لا يوصفان بالهجوم . وإنما عبر بالطيف عن صاحب
الطيف ؛ وعمن يتمثل له أو منه الطيف ، وما ذلك ببعيد من الاستعارة
في منشور الكلام ، فضلا عن منظومه الذى يضيق عن الأغراض ،
ويحتمل فيه ما لا يحتمل في غيره . فأما قول الآمدى : إن النفوس هي التي
تجتمع وتلتقي ، ويتمثل لها ما تتمثل في يقظة أو نوم ، وأن نفس الإنسان
هي التي تنام ، واستشهاده بالآية ، فما كان ينبغى له أن يخوض فيه ، ويدخل
نفسه في مثله ، فإنه ليس من عمله ؛ ولا مما له به علم ومعرفة . وترك الإنسان
الدخول فيما لا يعرفه أستر عليه . والنفس عبارة في اللغة العربية عن أشياء

كثيرة ، منها الدم ؛ ولذلك قالوا : « مالا نفس له سائلة ، فإنه لا ينجس الماء إذا مات فيه ^(١) » ، وسميت النفس بهذا الاسم ، لأجل الدم . ويعبر بالنفس عن الذات ، يقال فملت ذلك بنفسي ، وجاء زيد نفسه ، ونفسي تنوق إلى كذا وكذا : أى أنا تائق إليه .

والذى تهذى به الفلاسفة من أن النفس جوهر بسيط ، وينسبون الأفعال إليها ، مما لا محصول له ، وقد بينا فسادَه في مواضع كثيرة من كتبنا ، ودللنا على أن الفاعل المميز الحى الناطق ، هو الإنسان الذى هو هذا الشخص المشاهد ، دون جزء فيه أوجوه بسيط يتعلق به ، وليس هذا موضع بيان ذلك والكلام فيه . فقول الآمدى : إن النفس هى التى ترى فى اليقظة والنوم ، وهى التى تنام فى الحقيقة ، خطأ منه فاحش ، لأنه قد أضاف أفعال الحى الذى هو الإنسان المشاهد إلى غيره . والذى ينام على الحقيقة ويستيقظ ، هو الحى الذى هو الإنسان المشاهد . فأما قوله تعالى : « يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا » ، فعناهُ الصحيح : أن الله تعالى هو الذى يقبض ويجمع حركات الأحياء ، ويصرفهم فى وقت موتهم . وعبر بالنفوس عن ذوات الأحياء ، لأن تصرف الحى مع النوم وحركته تنقبض وتقل ، كما تنقبض حركته مع الموت . . وإن كان النائم حيا ، والميت فاقدا لحياته . ثم قال تعالى : « فِيمِيسْكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ » ،

(١) هذا حديث روى عن النبى عليه الصلاة والسلام :

أى يستمر منعها عن جميع التصرف والأفعال ، ويرسل الأخرى إلى
أجل مسمى : أى يعيد النائم فى أحوال اليقظة إلى ما كان عليه من
التصرف .

وقال البحرى أيضا ^(١) :

طَيفَ تَأْوَبَ مِنْ سَعْدَى فَحَيَّانِي أَهْوَاهُ وَهُوَ بُعِيدَ النَّوْمِ يَهْوَانِي
فِيهَا زَوْرَةٌ يَشْفَى الْغَلِيلُ بِهَا لَوْ أَنَّهَا جَلَبَتْ يَقْطِى لِيَقْطَانِ
مَهْزُوزَةٌ إِنْ مَشَتْ لَمْ تُفْ هَزَّتْهَا فِي الْخِزْرَانِ وَلَمْ تَوْجَدْ مَعَ الْبَانِ
يُدْنِي الْكَرَى شَخْصَهَا مِنِّي وَيُبْعِدُنِي

هَجَرَ فَيُبْعِدُ مِنِّي شَخْصَهَا الدَّانِي

أما قوله : « أهواه وهو بعيد النوم يهوانى » فإنما يريد أننى أهواه
على الحقيقة ، وهو بعيد النوم يتخيل لى شخصه وطيفه وزيارته لى ، فكأنه
يهوانى . والبيت الثالث فى غاية الملاحاة والرشاقة . وفى البيت الرابع رواية
تخالف ما حكيناه ، وهى :

يُدْنِي الْكَرَى شَخْصَهَا مِنِّي وَيُذْهِبُنِي
وَجَدْتُ فَيُبْعِدُ مِنِّي شَخْصَهَا الدَّانِ

(١) من قصيدة يمدح بها إسماعيل بن بلبل (ديوانه ٢ : ٢٩٨ طبع هندية) .

ومعنى الرواية الأولى أن هجرها لى مبعده فى الحقيقة عن لقاءها ، ونأى
بشخصها عني ، وإن خيل الكرى لى الدنو إليها .

والرواية الثانية معناها : أننى أتخيل فى النوم دنو شخصها منى ، فإذا
انتهت بالوجد ، وجدت شخصها بعيدا ، فكان الاستيقاظ هو الذى أبعد
شخصها ، كما أن الكرى أدناه ، وجوّد العتابى فى قوله :

ولما استقرّ النومُ فى جفنِ عَيْنِهِ وماتتْ له أوصالُهُ والمفاصلُ
رَمَتْ غمراتِ الموتِ رَمِيًّا بِنَفْسِهَا ولليلِ سترٍ حولها مُتَهَادِلُ
فَأَهْدَى إلينا الليلُ شَخْصًا تَنَاسَبَتْ إلى الحُسْنِ منه صورةٌ وثمَّ نِلُ
فَبَاتَتْ غماماتُ النعيمِ تَجُودُنَا لها دِيمٌ حتى الصباحِ ووايلُ

وأحسن كل الإحسان مسلم بن الوليد فى قوله :

وليلةَ باتَ اللّهُوْ إلا بقيةُ تدارَكها طيفُ أَلَمٍ مُّسَلِّمًا
جمعنا معاذيرَ العتابِ برقْدَةٍ مَشَتْ بَيْنَنَا تَطْوِي الحديثَ المَكْتَمًا
وأحسن النمر بن تَوَلَّب فى قوله :

تَأَوَّبَ صُحْبَتِي وَهُمْ هُجُودُ خيالٍ طَارِقٍ من أُمِّ حِصْنِ
أَلَمْ تَرَهَا إِلَيْكَ اليَوْمَ جَاءَتْ بملءِ العَيْنِ من كرمٍ وحُسْنِ

والناس يستحسنون قديماً لما لك بن أسماء ، وقد رويت لغيره ، قوله :

عَدَّتْ لِعَيْنِي لَيْلِي عِنْدَ مَسْرَاهَا فَبِتْ أَرْشَفُ يَمْنَاهَا وَيُسْرَاهَا

وَقُلْتُ أَهْلًا وَسَهْلًا إِذْ هُدَيْتَ لَنَا إِنْ كُنْتَ تَمَثَّلُهَا أَوْ كُنْتَ إِيَّاهَا

ومما استحسن لدِ عبل بن علي الخزازي ، واستلطف معناه ، قوله :

سَرَى طَيْفٌ سَعْدَى حِينَ حَانَ هُبُوبُ

وَقَضَّيْتُ شَوْقِي حِينَ كَادَ يَتُوبُ

وَلَمْ أَرَ مَطْرُوقًا يَحُلُّ بِطَارِقٍ وَلَا طَارِقًا يَقْرِي الْمَنَى وَيُثِيبُ

وقال البحتري أيضا ^(١) :

أَمَّا الْخِيَالُ فَإِنَّهُ لَمْ يَطْرُقِ إِلَّا بِعَقْبِ تَشَوُّفٍ وَتَشَوُّقِ

قَدْ زَارَ مِنْ بَعْدٍ فَهَنَهُ مِنْ جَوَى ضَرِمَ وَسَكَنَ مِنْ فَوَادٍ مُقْلَقِ ^(٢)

وَلَرُبَّمَا كَانَ الْكَرَى سَبَبًا لَنَا بَعْدَ الْفِرَاقِ إِلَى الْإِقَاءِ فَتَلْتَقِ

أما البيت الثالث ، فله ما شاء من قبول ، وحلاوة وطلاوة .

وقال البحتري أيضا ^(٣) :

مِثَالُكَ مِنْ طَيْفِ الْخِيَالِ الْمَعَاوِدِ أَلَمْ يَنَّا مِنْ أَفْقِهِ الْمَتْبَاعِدِ

يُحْيِي هُجُودًا مُنْتَشِينَ مِنَ الْكَرَى وَمَا نَفَعُ إِهْدَاءِ السَّلَامِ لَهَا جِدِ

(١) من قصيدة يمدح بها المعتز بالله (ديوانه ٢ : ١٤٢ طبع هندية) .

(٢) ديوانه : قد زار من بعد فحكن من حشا .

(٣) من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان وابنه (ديوانه ١ : ١٣٥ طبع هندية) .

إذا هي مالت لِلْعِنَاقِ تَعَطَّفَتْ تَعَطَّفَ اُمْلُودٍ مِنَ الْبَانِ مَاثِدِ
إذا وصلتنا لم تَصِلْ عَنْ تَعَمُّدِ وإن هجرت أَبَدَتْ لَنَا هَجَرَ عَامِدِ
وقال أيضا ^(١):

خَطَرَتْ فِي النَّوْمِ مِنْهَا خَطَرَةٌ خَطَرَةَ الْبَرْقِ بَدَا نِمْ اَضْمَحَلْ
أَيُّ زَوْرِ لَكَ لَوْ قَصْدًا سَرَى وَمِلْمٌ بِكَ ^(٢) لَوْ حَقًّا فَعَلْ
يَتَرَاءَى وَالْكَرَى فِي مُقَلَّتِي فَإِذَا فَارَقَهَا النَّوْمُ بَطَلْ
قَمَرٌ أَتْبَعْتُهُ مِنْ كَلَفٍ نَظَرَ الصَّبِّ بِهِ حَتَّى أَفْلْ

ولهذه الأبيات الملاحاة كلها ، والحلاوة جميعها ، وللبيتين الأولين منها
الفضل الظاهر عليها ، ومارأينا الآمدى طرب لما أوردتها ، وما شرع في شيء
من مدحها ، وقد يفعل ذلك فيما هو دونها أو مثلها ، وهي جديرة بالطرب ،
حقيقة بالعجب .

وقال أيضا :

^(٣) طَرَقْتَنِي فِي الْخِيَالِ ^(٤) نَعَمْ ^(٥) أُمُّ بَكْرٍ فَأَسْعَفَتْ أُمُّ بَكْرٍ
فِي بُدُورٍ مِنَ الشَّبَابِ عَلَيْهَا وَرَقٌ ^(٦) مِنْ جَدِيدِهِ الْمَسْبُكِرِ ^(٧)

(١) من قصيدة يمدح بها الطائي (ديوانه ٢ : ١٨١ هندية) .

(٢) ديوانه : منك . (٣) من قصيدة يمدح بها محمد بن بدر (ديوانه ١ :

١٩ هندية) . (٤) ديوانه : وفي . (٥) ديوانه : نعمي .

(٦) ورق الشباب : نضرته وحدائته . (٧) المسبكر : الشاب النام المعتدل .

كَمَلَتْ أَرْبَعٌ لَهَا بَعْدَ عَشْرِ وَمَدَى الْبَدْرِ أَرْبَعٌ بَعْدَ عَشْرِ
خَلَفَتْ^(١) دَارَهَا بِحَزْوَى فَبَاتَتْ بَيْنَ سَحَرَى شَرْوَى الضَّجِيعِ وَتَحَرَى
لَوْ دَرْتُ مَا أَتَيْتُ لَمَنْتُ بِنُجُحٍ لَمْ يُكَدِّرْ وَنَائِلٌ غَيْرُ نَزْرِ

ومعنى البيت الأول ، أنها طرقتنا في غير الخيال وفي الخيال ، ولولا ذلك لم يكن للواو العاطفة معنى ، وَالْمُسَبِّكِرُ : التام الكامل .

وقال أيضا^(٢) :

قُلْ لِلْخِيَالِ إِذَا أَرَدْتَ فَعَاوِدِ تُدْنِي الْمَسَافَةَ مِنْ هَوَى مُتَبَاعِدِ
فَلَأَنْتَ فِي نَفْسِي وَإِنْ عَنَيْتَنِي وَبَعَثْتَ لِي الْأَشْجَانَ أَخْلَى وَافِدِ
بَاتَتْ بِأَحْلَامِ النَّيَامِ تَغْرُنِي رُودُ التَّثْنَى كَالْقَضِيبِ الْمَائِدِ
ضَاهَتْ بِحُلْمَتِهَا تَلْهُبُ خَدَّهَا حَتَّى غَدَتْ فِي أَرْجَوَانٍ جَامِدِ^(٣)

وضع البحتري قوله : « رُودُ التَّثْنَى » في غير موضعه ، لأن الرُودة من النساء السريعة الشباب ، وهذا وصف لا يليق بالتثني ، وإنما يليق بالمرأة ذات التثني . وعذر البحتري في ذلك من وجهين :

(١) ديوانه : خالفت .

(٢) من قصيدة يمدح بها صاعد بن مخلد (ديوانه ١ : ١٥٨ طبع دندية) .

(٣) ديوانه : جاسد . تقول جد به الدم يجسد : إذا ألصق به فهو جاسد ، والمجسد الأحمر .

أحدهما : أنه استعار للتثني وصف صاحبه للمقاربة .
والآخر : أن سرعة الشباب لا تكون إلا مع النعمة والرطوبة ، فحمل
على المعنى ، وأراد أنها ناعمة التثني ، أو رطوبة التعطف .
وقال أيضا ^(١) :

بِعَيْنَيْكَ إِغْوَالِي وَطُولُ شَهْبِي وَإِخْفَاقُ عَيْنِي مِنْ كَرِّي وَخَفُوقِي
عَلَى أَنْ تَهْوِيَنِي إِذَا عَارَضَ اطَّبِّي ^(٢) سُرَى طَائِفٍ ^(٣) فِي غَيْرِ وَقْتِ طُرُوقِي
سُرَى جَائِبًا لِلْخَرَقِ يَخْشَى وَلَمْ يَكُنْ مَلِيًّا بِإِسْرَاءِ وَجُوبِ خُرُوقِي
فَبَاتَ مُعَاطِفِي عَلَى رِقَبَةِ الْعِدَا وَيَمْزُجُ رِيْقًا مِنْ جَنَاهُ بِرِيْقِي
وَبِتُّ أَهَابُ الْمِسْكَ مِنْهُ وَأَتَقِي ^(٤) رُدَاعَ ^(٥) عَبِيرِ صَائِكٍ ^(٥) وَخَلُوقِ
أَرَى كَذِبَ الْأَحْلَامِ صِدْقًا وَكَمْ صَفَتْ

إلى خبرِ أَذْنَايَ غَيْرِ صَدُوقِ
وما كانَ مِنْ حَقٍّ وَبَطْلٍ فَقَدْ شَفَى حَرَارَةَ مَتَبُولٍ وَخَبْلَ مَشُوقِ
وقال أيضا ^(٦) :

أَحْبَبُ إِلَيَّ بِطِيفِ سَعْدَى الْآتِي وَطُرُوقِهِ فِي أَعْجَبِ الْأَوْقَاتِ

(١) من قصيدة يمدح بها أحمد بن طولون (ديوانه ٢ : ١٤٠) .

(٢) اطبي : صرف . (٣) ديوانه : طارق .

(٤) رداع : أثر الطيب في الخدم . (٥) صائك : لاصق ، من صاك به الطيب ، يصيك :
أى لصق به .

(٦) من قصيدة يفتخر ، ويعاتب قوما من أهل بلده ، (ديوانه ١ : ٩٦) .

أَنِّي اهْتَدَيْتَ لِمَحَرِّ مِينَ تَصَوَّبُوا لِسُفُوحِ مَكَّةَ مِنْ رُبَا عَرَفَاتِ
ذَكَرْتَنَا عَهْدَ الشَّامِ وَعَيْشَنَا بَيْنَ الْقِبَابِ الْبَيْضِ وَالْهَضَبَاتِ
إِذَا أَنْتِ شَكْلُ مُخَالَفٍ وَمُوَافِقٍ وَالذَّهْرُ فَيْكٍ مِمَّا نَعِ وَمُؤَاتِي
لَوْلَا مَكَائِرَةُ الْخُطُوبِ وَنَحْتُهَا مِنْ جَانِبِي لَكُنْتُ مِنْ حَاجَاتِي
وقال أيضا ^(١) :

إِذَا نَسِيتُ هَوَى الْإِلَى أَشَادَ بِهِ
طَيْفٌ سَرَى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ إِذَا جَنَحَا
دَنَا إِلَى عَلَى بُعْدٍ فَأَرَقَنِي حَتَّى تَبَاجَّ ضَوْؤُهُ الصُّبْحِ فَاتَّضَحَا
عَجِبْتُ مِنْهُ تَخَطَّى الْقَاعَ مِنْ إِضْمٍ وَجَاوَزَ الرَّمْلَ مِنْ خُبْتٍ وَمَا بَرَحَا
قال الأمدى : كيف يقول تخَطَّى القاع ، وجاوز الرمل ، ثم يقول
وما برحا ، ثم يقول : كأنه أراد ما برح على الحقيقة ، ثم سأل نفسه ، فقال : فإن
قيل هي التي لم تبرح على الحقيقة ، وأما خيالها إذا طرق وهي بعيدة ، فقد
برح . وأجاب بأن خيالها إنما هو صورتها التي تتصور في النفس ، والصورة
أيضا غير بارحة على الحقيقة . فقولهم طرق الخيال ، وزار الخيال : مجاز .
ويجوز أن يكون قوله وما برحا : أي ما برحت هي ، وجعل خيالها بدلا منها ،
ووضعه في موضعها ، لأنه هي . ألا ترى إلى قول جرير :

(١) من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان (ديوانه ١ : ١١٤) .

طَرَفَتِكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ وَلَيْسَ ذَا وَتُتُ الزَّيَّارَةُ فَارْجِعِي بِسَلامٍ^(١)
قال الأمدى : وقيل إنه أراد خيالها فوضع ذلك في موضعه ، لأن
خيالها ليس هو شيئا غير صورتها . قال : وقد استجفى الناس قوله :
« فارجعي بسلام » ، وإنما قال هذا ، لأنه عاتب عليها ، ألا ترى إلى
قوله بعد هذا :

لو كان عهدك كالذي عاهدتنا^(٢) لوصلت ذاك فكان غير رمام

قال : وطرفة أول من طرقة ، فقال :

فَقُلْ لِحَيَالِ الْحَنْظَلِيَّةِ يَنْقَلِبُ إِلَيْهَا فَإِنِّي وَاصِلٌ حَبْلَ مَنْ وَصَلَ

قال : وهذا أعذر من جرير ، لأنه قال : فَإِنِّي وَاصِلٌ حَبْلَ مَنْ وَصَلَ .

فدلّ على أن الحنظلية هجرته وواصلته غيرها ، فطرد خيالها . ونقول إن

لبيت البحرى معنى ماوقع للأمدى ، وهو أشبه بالصواب مما ذكره ، وهو

أنه لما قال : عجبت منه تخطى القاع ، وجاوز الرمل ، وذلك كله لم

يكن ، وإنما تشبه له وتخيل إليه مالا حقيقة له ، أراد أن تبين هذه الإضافة

غير حقيقية ، فكان له أن يقول : وما تخطى ، ولا جاوز الرمل ، كما قال في موضع

آخر : « أُنَى اهتديت وما اهتديت » ، فعدل إلى أن قال : « وما برحا »

لأن من لم يرح مكانه ماتخطى ولا جاوز ، فكانه استعار الطيف الذى

(١) من قصيدة يرد بها على الفرزدق (ديوانه ص ٥٥١ ض الصاوي) .

(٢) ديوانه ص ٥٥١ : حدثنا .

ما تخطى الوصف له بأنه مابرح ، وإن كان لا يليق به من كل الوجود ، لأن الذى لم يبرح مافارق مكانه ، ولا زال من موضعه . وهذا وصف لا يليق بالطيف ، لكن ما لم يبرح ما تخطى . والطيف ما تخطى ، فكأنه مابرح . فأما قوله : إن الصورة أيضا غير بارحة فكلام غير صحيح ، لأن الطيف الذى يتصور ويتمثل ، ليس بشيء يشار إليه ، فتثبت له البراح ، أو تنفى عنه . وقوله : يجوز أن يريد بقوله مابرحا : أى مابرحت هى ، ووضع خيالها فى موضعها قريب .

فأما بيت جرير الذى أنشده فالأولى فى معناه : أن يريد أنها طرقته بنفسها زائرة على الحقيقة لا طيفها . فقال لها عتبا عليها ، أو خوقا من وضع الزيارة فى غير موضعها : ارجعى بسلام ، لأنه قد قال فى البيت : وليس ذاحين الزيارة . ومن خاف الرقباء ، ولم يأمن على محبوبه من الأقوال الخارجة ، واتهم الفادحة ، استعفى مما يطرق ذلك ويشمره . وليس فى لفظ البيت ما يدل على اختصاص بالخيال ، لأن الطروق الذى هو الزيارة ليلا ، يكون لغير الخيال ، كما يوصف به الخيال ، وهو فى غير الخيال حقيقة ، وفى الخيال مجاز . وحمل الكلام — إذا أمكن — على الحقيقة أولى .

وأى معنى لقوله : « وليس ذاحين الزيارة » إن كان عنى الطيف ؟ وله كل معنى إذا أراد به الزيارة الحقيقية . والذى قاله الآمدى قد قاله قوم ، وغيره أصوب منه وأقرب . فأما بيت طرفه ، فهو صريح فى طرد الخيال

وقد بين عن العلة في طرده له ، وليس كبيت جرير الذى هو بغير الخيال
أشبه ، وفيه أوقع .

وقال البحتري - أيضا ^(١) :

أمنك تأوُّب الطيف الطروب حبيبُ جاء يَهْدِي مِنْ حَبِيبِ
تَحْطَى رِقْبَةَ الْوَاشِينَ وَهْنًا وَبُعْدَ مَسَافَةِ الْحَزَنِ ^(٢) الْمَجُوبِ
يُكَاذِبُنِي وَأَصْدُقُهُ وَدَادًا وَمِنْ كَلَفِ مُصَادَقَةِ الْكَذُوبِ

وقال أيضا ^(٣) :

عَجَبًا لَهْجَرِكَ قَبْلَ تَشْتِمِ النَّوَى مِنَّا وَوَصْلُكَ فِي التَّنَائِي أَعْجَبُ
أَنِّي اهْتَدَيْتِ وَمَا اهْتَدَيْتِ لِمُعَمَدٍ فِي لَيْلٍ عَانَةٍ وَالثَّرِيَّا تَجْنُبُ
أَتْرَكْتِهِ بِالْخَيْلِ ثُمَّ طَلَبْتِهِ بِخَلِيجِ عَانَةٍ حِينَ عَزَّ الْمَطْلَبُ

وقال أيضا ^(٤) :

إِذَا قُلْتُ قَضَيْتُ الصَّبَابَةَ رَدَّهَا خَيْالٌ مُلِمٌّ مِنْ حَبِيبِ مُجَانِبِ
يَجُودُ وَقَدْ ضَنَّ الْأَلَى شَغْفِي بِهِمْ وَيَدْنُو وَقَدْ شَطَّتْ دِيَارُ الْحَبَائِبِ
تُرِينِيكَ أَحْلَامُ النَّيَامِ وَيَدْنُنَا مَفَاوِزُ يَسْتَفْرِغْنَ جُهْدَ الرَّكَائِبِ

(١) من قصيدة يمدح بها هيثم بن هارون بن المعمر (ديوانه ١ : ٨٤) .

(٢) ديوانه : الخرق . (٣) هذه الأبيات ليست في ديوانه طبع هندية .

(٤) من قصيدة يمدح بها المعتر (ديوانه ١ : ٩٠) .

وقال أيضا^(١) :

سَرَى الطِيفُ مِنْ ظَمِيَاءٍ وَهَنًا فَمَرْحَبًا
وَأَهْلًا بِمَسْرَى طِيفِ ظَمِيَاءٍ مِنْ مَسْرَى
أَلَمِّ بِسْفَرٍ لَأَغْيَيْنَ وَأَيْنُقٍ
ذَرَعْنَ بِهِمْ^(٢) مِنْ أَذْرِعَاتٍ إِلَى بُضْرَى

وقال أيضا^(٣) :

قَدْ كَانَ طِيفُكَ مَرَّةً يُغْرَى بِي يَعْتَادُ رَكْبِي طَارِقًا وَرَكَابِي
فَالآنَ مَا يَزْدَارُ غَيْرَ مَغَبَّةٍ وَمِنَ الصَّدُودِ زِيَارَةُ الْإِغْبَابِ
قوله « ومن الصدود زيارة الإغباب » : من أطف الكلام ، وأشدّه
وصولا إلى كل قلب .

وقال أيضا^(٤) :

أَلَمْتُ وَهْلَ الْمَأْمُومِ لَكَ نَافِعُ وَزَارَتْ خَيَالًا وَالْعُيُونُ هَوَاجِعُ
بِنَفْسِي مَنْ تَنَأَى وَيَدُنُودَ كَارُهَا وَيَبْدُلُ عَنْهَا طِيفُهَا وَتُمَارِيعُ

(١) من قصيدة يمدح بها خارويه (ديوانه ١ : ١٢) .

(٢) ديوانه : بنا .

(٣) من قصيدة يمدح بها إبراهيم بن المدبر (ديوانه ١ : ١٤) .

(٤) من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان (ديوانه ٢ : ٧٦) .

وقال أيضا^(١) :

طَوَّلَ هَذَا اللَّيْلَ أَنْ لَا كَرَى يُرِيكَ مَنْ تَهْوَى وَأَنْ لَا هُجُوعُ
يَمْضِي هَزِيعٌ لَمْ يَطْفُ طَائِفُ مِنْ عِنْدِ أَسْمَاءٍ وَيَأْتِي هَزِيعُ
وقال أيضا^(٢) :

وَيَهِيْجُنِي أَنْ لَا يَزَالَ يُزُوْرُنِي مِنْهُ خِيَالٌ مَا يَغِيبُ مُطِيفُهُ
وقال أيضا^(٣) :

يَهْدِي الْخِيَالُ لَنَا ذِكْرَى إِذَا طَافَا وَافَى يُخَادِعُنَا وَالصُّبْحُ قَدْ وَافَى
تَصْدُقُ^(٤) الْمَنَعَ سَلَمَى حِينَ نَسَأَلُهَا نَيْلًا وَتَكْذِبُنَا وَضَلًّا^(٥) وَإِشْعَافَا
وقال أيضا^(٦) :

وَزَوْرُ خِيَالٍ بَعْدَ وَهْنٍ أَلَمَّ بِي وَأَحْشَاؤُهُ مِنْ فَرَطٍ خِيفَتِهِ تَهْفُو
إن قيل كيف يليق هذا الوصف بالخيال ، قلنا : المعنى أن أحشاء
صاحب هذا الطيف ، لو زارني هذه الزيارة ، تهفو من الخليفة ، فأجري على
الطيف ما هو لصاحب الطيف ، وهذا توسع يُحتمل للشعراء ، ويحسن منهم .
وقال أيضا^(٧) :

قَمَرٌ فِي دُجْنَةِ اللَّيْلِ يُوفِي أَمْ خِيَالٌ مِنْ عِنْدِ سَعْدَى يُوَفِّي

-
- (١) من قصيدة يمدح بها الشاه بن ميكال (٢ : ٩٥) .
(٢) يمدح الفتح بن خاقان (ديوانه ٢ : ١١٤) وفيه : منها خيال .
(٣) يمدح الطائي (٢ : ١٠٦) . (٤) ديوانه : تصدقنا المنع سعدى .
(٥) ديوانه : بذلا . (٦) ليس في ديوانه طبع هندية .
(٧) يمدح أحمد بن الإسكافي (ديوانه ٢ : ١٠٨) .

مُسْعِفٌ بِالذِي مَتَى سُمِّلَتْهُ عَدِمَتْ حَظُّهَا مِنَ الْإِسْعَافِ
وقال أيضا^(١) :

مَرْحَبًا بِالْخِيَالِ مِنْكَ الْمُطِيفِ فِي شَمُوسٍ لَمْ تَتَّصِلْ بِكُسُوفِ
كَيْفَ زُرْتُمْ وَدُونَكُمْ رَمْلُ يَبْرِينَ فَقَلَجَ وَالْحَيُّ غَيْرُ خَلُوفِ
وَرِدَاهِ الظُّلُمَاءِ فِي صَبْغِهِ الْأَسْوَدِ وَالصُّبْحُ مِنْ وَرَاءِ سُجُوفِ
زَوْرَةٍ سَكَنْتُ غَلِيلًا وَقَدْ هَا جَتُ غَلِيلًا مِنْ هَائِمٍ مَسْغُوفِ
وقال أيضا^(٢) :

خِيَالُ مَاوِيَّةَ الْمُطِيفُ أَرَقَّ عَيْنًا لَهَا وَكَيْفُ
أَكْثَرَ لَوْحِي عَلَى هَوَاهَا رَكِبَ عَلَى دِمْنَةٍ وَقُوفُ
وقال أيضا^(٣) :

وَطِيفٌ سَرَى حَتَّى تَنَاوَلَ فِتْيَةً سَرَوْا يَحْمِلُونَ^(٤) اللَّيْلَ حَتَّى تَمَزَّقَا
وقال أيضا^(٥) :

تَبْهَشُ^(٦) النَّفْسُ إِلَى زَوْرِ الْكَرَى وَمَتَاعُ النَّفْسِ فِي زَوْرِ الْأَرَقِ

(١) يمدح إبراهيم بن الحسن بن سهل (ديوانه ٢ : ١٠٣) .

(٢) يمدح عبدون بن مخلد (ديوانه ٢ : ١١٥) .

(٣) يمدح يوسف بن محمد (ديوانه ٢ : ١٢٩) . (٤) ديوانه : يلبسون .

(٥) يمدح صاعدا (ديوانه ٢ : ١٣١) .

(٦) تبش : ترتاح له ، وتخف إليه .

وقال أيضا^(١) :

أهلاً بذيكم الخيالِ المُقبلِ فعلَ الذي نهواه أم لم يفعلِ

وقال أيضا^(٢) :

فلا عهدَ إلّا أن يُعاودَ ذكرُها ولا وصلَ إلّا أن يزورَ خيالُها
وقد كنت أرجو وصلها بعد هجرها فقد بان مني هجرها ووصلها

وقال أيضا^(٣) :

إذا أرسلت طيفاً يذكرك في الجوى رددت إليها بالنجاحِ رسولها

وقال أيضا :

أجِدَّكَ إنْ لَمَّاتِ الخيالِ لمْذَكَرَتِي بأيّامِ الوصالِ^(٤)
تورّقني إذا الرّقباءُ ناموا أناةُ الخطوفاتنةُ الدلالِ

وقال أيضا^(٥) :

هذا الحبيبُ فرحاً بـخياله أني اهتدي والليلُ في سربه باله
بل كيف زار ودونه مجهولةً من سبب قفر تمور^(٦) باله

(١) ليس في ديوانه طبع هندية . (٢) يمدح المتوكل (ديوانه ٢ : ١٧٩) .

(٣) يمدح إسماعيل بن بلبل (ديوانه ٢ : ١٩٧) .

(٤) ليست في ديوانه طبع هندية .

(٥) يمدح أبان هشل (ديوانه ٢ : ١٩٠) . (٦) ديوانه : يمور .

سَارِ تَجَاوَزَ مِنْ شَقَائِقِ عَالِجٍ بُعْدَ الْمَدَى مِنْ سَهْلِهِ وَجِبَالِهِ
حَتَّى تَقْنَصَهُ الْكَرَى لِمُتِمِّ لَوْلَا الْكَرَى لَشَفَاهُ مِنْ بَلْبَالِهِ

يريد : لولا أن زيارته في الكرى ، وهى تخيل وتمثيل ، لشفته هذه
الزيارة من بلباله ، لأنها إذا لم تكن في الكرى كانت حقيقة ، فانتفع بها ،
ووقعت في موقعها .

وقال أيضا^(١) :

زَائِرٌ فِي الْمَنَامِ يَهْجُرُ يَقْظَا نَ وَيَدْنُو مَعَ الْمَنَامِ وَصَالُهُ
طَارِقٌ أَرْهَقَ الزِّيَارَةَ وَالصَّبْحُ مُطِلٌّ أَوْ قَدْ دَنَا إِطْلَالُهُ
وقال أيضا^(٢) :

وخيَالٍ أَلَمَ مِنْهَا عَلَى سَا عَةٍ هَجَرَ فَقَلَّتْ أَهْلًا وَسَهْلًا
وقال أيضا^(٣) :

يُهَيِّجُ لِي طَيْفُ الْخِيَالِ صَبَابَةً فَلِلَّهِ مَا طَيْفُ الْخِيَالِ الْمُهَيِّجُ
وقال أيضا^(٤) :

أَعَادَ شَكْوَى مِنَ الطَّيْفِ الَّذِي اعْتَادَا رُشْدًا تَوَخَّيْتُ أُمَّ غَيًّا وَإِفْسَادَا

(١) يمدح أبا بكر الكاتب (ديوانه ٢ : ٢٢٠) .

(٢) يمدح المعز بالله (ديوانه ٢ : ١٦٩) .

(٣) يمدح إسماعيل بن بلبل (ديوانه ١ : ١٠٥) .

(٤) يمدح ابن الفياض (ديوانه ١ : ٢٠٢) وفيه : إفتادا في موضع : إفسادا .

ألم بي وبياض الصبح منتظر
قد رق عنه سواد الليل أو كادا
وقال أيضا^(١) :

ألم بي طيفها وهما فأغوزه
عندي وجود كرى بالدمع مطرود
وقال أيضا^(٢) :

خطية ليلة تمضي ولما
يورقني خيال من سعاد
وهجر القرب منها كان أشهى
إلى المشتاق من وصل البعاد
وقال أيضا^(٣) :

يبيت خيالها منها بدىلاً
ويقرب ذكرها عند البعاد
وقال أيضا^(٤) :

وسرى خيالك طارقاً وعلى اللوى
عيس مطلقاً وركب هاجد
وقال أيضا^(٥) :

بعدت دارها فما من تلاق
غير طيف يزورني في الهجود

(١) من قصيدة يمدح بها أحمد بن عبد الوهاب (ديوانه ١ : ١٧٣) .

(٢) يمدح الفتح بن خاقان (ديوانه ١ : ١٣٨) .

(٣) يمدح عبد الله بن يحيى بن خاقان (ديوانه ١ : ١٦١) .

(٤) من قصيدة يمدح بها الحسن بن مخلد (ديوانه ١ : ١٤٢) .

(٥) يمدح المعتز بالله (ديوانه ١ : ١٩٣) .

أَتَرَاهَا دَامَتْ عَلَى الْعَهْدِ أَمْ مِنْ عَادَةِ الْغَانِيَاتِ نَقْضُ الْعُهُودِ
وقال أيضا^(١) :

عَجَبًا لَطِيفِ خَيَالِكَ الْمُتَعَاهِدِ وَلَوْصَلِكَ الْمُتَقَارِبِ الْمُتَبَاعِدِ
يَدْنُو إِذَا بَعْدَ الْمَزَارِ وَيَنْتَنِي فِي الْقَرَبِ لَيْسَ أَخُو الْهُوَى بِمُعَانِدِ
مَاذَا أَرَادَ مُلِمُّ طَيْفِكَ فِي الْكُرَى مِنْ وَاعِلٍ بَيْنَ الْخَوَادِثِ شَارِدِ
مُتَحَيِّرٍ يَغْدُو بِعِزْمٍ قَائِمٍ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ وَجَدِّ قَاعِدِ
وهذه الأبيات حسنة ، ما يشينها إلا عجز البيت الثاني ، في قوله :

ليس أخو الهوى بمعانِد

وطرح هذا البيت ، من أوله إلى هذا الموضع من آخره ، طرح صحيح
مليح ، فليته ختمه بمثل ما بدأ به . وللناظم سكرات وغمرات يدخل عليه
فيهن من الشبه مالا يكاد ينحصر وينضبط .

وقال أيضا^(٢) :

فَإِنْ بَخِلْتَ فَلَا وَصْلَ وَلَا عِدَّةَ^(٣)

غير اهتداء خيال منك زوَّارِ

(١) يمدح الخضر بن أحمد (ديوانه ١ : ١٦٨) .

(٢) يمدح أبا صالح ويمدح المستعين (ديوانه ١ : ٢٢٢) .

(٣) ديوانه : صلة .

لاشكَلَ لِلْقَمَرِ السَّارَى عَلَىٰ فَمَا بَيَّنَّتْ طُلُعَتَهُ مِنْ طَيْفِكَ السَّارَى
إِذْ ضَارَعَ الشَّمْسُ فِي حُسْنٍ وَفِي مَقَّةٍ وَطَالَعَ الْبَدْرَ فِي وَقْتٍ وَمَقْدَارِ
لَيْلٍ تَقْضَى وَمَا أَذْرَكَتُ مَا رَبَّتِي مِنَ الْلِقَاءِ وَمَا قَضَيْتُ أَوْطَارِي
وقال أيضا ^(١) :

تَقْضَى الصَّبَا إِلَّا خِيَالًا يَعُودُنِي بِهِ ذُو دَلَالٍ أَحُورُ الطَّرْفِ فَاتِرُهُ
يَجُوبُ سُودَ اللَّيْلِ مِنْ عِنْدِ مُرْهَفٍ ضَعِيفِ قَوَامِ الْخَصْرِ سَوْدٍ غَدَائِرُهُ
فِيذُ كِرْنِي الْعَهْدِ ^(٢) الْقَدِيمِ وَلَيْلَةٍ لَدَى سَمُرَاتِ الْجَزْعِ إِذْ نَامَ سَامِرُهُ
وقال أيضا ^(٣) :

مِنْ أَجْلِ طَيْفِكَ عَادَ مُظْلَمٌ إِلَيْهِ أَهْوَى ^(٤) إِلَيْهِ مِنْ مُضَى نَهَارِهِ
وقال أيضا ^(٥) :

سَرَى مِنْ خِيَالِ الْمَالِكِيَّةِ مَا سَرَى فَتَمَّ ذَا الْقَلْبِ الْمُعَنَّى وَأَسْهَرَا
دُنُوءًا بِأَسْلَامِ الْكَرَى مِنْ بَعِيدَةٍ تُسَيِّدُ بِنَا فِعْلًا وَتَحْسُنُ مَنَظَرَا
وَمَا قَرُبْتُ بِالطَّيْفِ إِلَّا لِمَتَنَوَى وَمَا وَصَلْتُ فِي النَّوْمِ إِلَّا لِمَهْجُرَا

(١) يمدح يوسف بن محمد (ديوانه ١ : ١١) . (٢) ديوانه : الوصل .

(٣) يمدح أبا عامر بن أحمد (ديوانه ٢ : ٨) . (٤) ديوانه : أحلى .

(٥) يمدح المعتز بالله (ديوانه ٢ : ٥٠) .

وقال أيضا^(۱) :

لا يَنِي يُوفِدُ الحَبِيبَ إلَيْنَا كَذِبُ الطَّيْفِ سَارِيًّا وَغُرُورُهُ
زَائِرًا فِي الْمَنَامِ أَسْأَلُ هَلْ أَطُ رَقُهُ فِي مَنَامِهِ أَوْ أَزُورُهُ

وقال أيضا^(۲) :

هَجَرَتْ وَطِيفُ خِيَالِهَا لَمْ يَهْجُرِ وَنَأَتْ بِحَاجَةِ مُغْرَمٍ لَمْ يُقْصِرِ

وقال أيضا^(۳) :

أَطْلَبُ النُّومَ كِي يَعُودَ غِرَارُهُ بِخَيَالٍ يَحُلُو لَدَى اغْتِرَارُهُ
كَمْ تَلَاقٍ أَرْتَكُهُ مِنْ قَرِيبٍ صَلََةُ الطَّيْفِ طَارِقًا وَازْدِيَارُهُ

وقال أيضا^(۴) :

بَرَّحَ بِي الطَّيْفُ الَّذِي يَسْرِي وَزَادَنِي سُكْرًا إِلَى سُكْرِي
وَنَشْوَةُ الْحُبِّ إِذَا أَفْرَطَتْ بِالصَّبِّ جَازَتْ نَشْوَةَ الْخَمْرِ

وقال أيضا^(۵) :

مَا قُلْتُ لِلطَّيْفِ الْمُسَلِّمِ لَا تَعُدْ تَفْشَى وَلَا كَفْكَفْتُ حَامِلَ كَاسِ

(۱) يمدح ابن ميكال (ديوانه ۲ : ۳۰) .

(۲) يمدح المستعين (ديوانه ۱ : ۲۲۳) .

(۳) يمدح ابن ميكال (ديوانه ۲ : ۲۸) . (۴) يمدح المعز بالله (ديوانه ۲ : ۴۰) .

(۵) يمدح أبا الحسن بن عبد الملك (ديوانه ۲ : ۵۹) .

وقال أيضا^(١) :

فَلَمْ يَبْقَ مِنْ مَعْرُوفِهَا غَيْرُ طَائِفٍ يُلِمُّ بِنَا وَهْنًا إِذَا الرَّكْبُ هَوَّمَا
يَكَادُ وَمِيزُ الْبَرْقِ عِنْدَ اعْتِرَاضِهِ يُضِيءُ خِيَالًا جَاءَ مِنْهَا مُسَلَّمَا

وقال أيضا^(٢) :

أَكَانَ الصَّبَا إِلَّا خِيَالًا مُسَلَّمَا أَقَامَ كَرَجْعِ الطَّرْفِ حَتَّى تَصَرَّمَا

وقال أيضا^(٣) :

إِنَّ طَيْفًا يَزُورُنِي فِي الْمَنَامِ لَخَلِيٌّ مِنْ لَوَعَتِي وَغَرَامِي
غَادَةٌ بَتُّ أَجْهِلُ اللَّوَمِ فِيهَا وَعِنَاءُ الْحَبِّ طَوْلُ الْمَلَامِ

وقال أيضا^(٤) :

وَإِذَا مَا أَبَى الْحَبِيبُ مُوَاتَا قِي تَبَلَّغْتُ بِالْخِيَالِ الْمَلَمَّ

وقال أيضا^(٥) :

فَكَمْ لَيْلَةٍ أَهَدْتُ إِلَى خِيَالِهَا وَسَهْلُ الْفَيَافِي دُونَهَا وَحُزْنُومَهَا^(٦)

(١) يمدح الفتح بن خاقان (ديوانه ٢ : ٢٢٧) .

(٢) يمدح الهيثم الغنوى (ديوانه ٢ : ٢٣٣) .

(٣) يمدح المتوكل (ديوانه ٢ : ٢٦٨) .

(٤) يمدح عبدون بن مخلد (ديوانه ٢ : ٢٤٥) .

(٥) يمدح المهتدي بالله (ديوانه ٢ : ٢٣٠) .

(٦) الحزم : ما كان من الأرض أغلظ من الحزن .

تَطِيبُ بِمَسْرَاهَا الْبِلَادُ إِذَا سَرَتْ فَيَنْعَمُ رَيَّاهَا وَيَصْفُو نَسِيمَهَا
وقال أيضا^(١) :

إِذَا زَرُودُ دَنَتْ مِنَّا صِرَائِمُهَا فَلَا مَحَالَةَ مِنْ زَوْرِ يَوَافِينَا
بِتَنَا جُنُوحًا عَلَى كُتُبِ اللّوَى وَأَبَى طَيْفَ لِظْمِيَاءٍ إِلَّا أَنْ يُحْيِينَا

ومما يدخل في هذا الباب بعض الدخول، أن البحترى شبه زائرا زاره
بالخيال سرى وبه خيفة أن لا يكون لزيارته حقيقة ، فقال^(٢) :

وَزَوْرٍ أَتَانِي طَارِقًا فَخَسِبْتُهُ خِيَالًا أَتَى مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ يَطْرُقُ
أَقْسَمُ فِيهِ الظَّنَّ طَوْرًا مُكَذَّبًا بِهِ أَنَّهُ حَقٌّ ، وَطَوْرًا أَصْدَقُ
أَخَافُ وَأَرْجُو بَطْلَ ظَنِّي وَصِدْقَهُ فَلِلَّهِ شَكِّي حِينَ أَرْجُو وَأَفْرَقُ

وقال في هذا المعنى^(٣) :

حَبِيبُ سَرَى فِي خُفْيَةٍ وَعَلَى ذُعْرِ يَجُوبُ الدُّجَى حَتَّى التَّقِينَا عَلَى قَدْرِ
تَشَكَّكَتُ فِيهِ مِنْ سُرُورِي وَخِلَّتُهُ خِيَالًا أَتَى فِي النَّوْمِ مِنْ طَيْفِهِ يَسْرَى

انقضى ما للبحترى .

وهذا ابتداء ما أخرجته من شعر أخى رضى الله عنه ، ونصّر وجهه !

(١) هذه الأبيات ليست في ديوانه طبع هندية .

(٢) يمدح المعتر بالله (ديوانه ٢ : ١٢٤) . (٣) يمدح المعتر بالله (ديوانه ٢ : ٢) .

[ما أخرجه المؤلف من شعر أخيه الشريف ،

في طيف اخیال]

قال رضى الله عنه ، وهى قطعة مفردة :

إنَّ طيفَ اخیالٍ زار طُروقا والمطايا بينَ القنَّانِ وشَغْبِ^(١)
فوقَ أكواريهنَّ أنضاءَ شوقٍ طَرَقوا بالغرامِ دونَ الرِّكَبِ
كلِّما أنتِ المَطِيُّ مِنَ الإغْـيَاءِ أنُوا منَ الجَوَى وَالكَرْبِ
زَارَنى واصلاً عَلَى غَيْرِ وَعْدٍ وانثنى هاجراً عَلَى غَيْرِ ذَنْبِ
كانَ قَلْبى إِلَيْهِ رائدَ عَمْنى فعلى العَيْنِ مِنَّةٌ لِلْقَلْبِ
بِتُ أَلْهُو بِناعِمِ الجَـيْدِ غَضٍّ وفَمَ باردِ المُجَاـجَةِ عَذْبِ
بَلَّ وَجَدى وَمَنْ رَأى اليَوْمَ قَبْلَى ناقعاً للَغْلِيلِ من غيرِ شُرْبِ
ساحِجاً لى عَلَى البعادِ بَنِيْلِ كانَ يَلُوِيهِ فى زَمَانِ القُرْبِ
كانَ عِنْدى أنَ العُرورَ لَطَرَفى فَإِذَا ذلِكَ العُرورُ لِقَلْبى

(١) انظر ديوان الشريف الرضى (١ : ١٣٩) بيروت . وقد وردت كلمة شغب

بالعين المهملة فى ديوانه المخطوط . انظر ورقة رقم ١٥٩ مخطوط رقم ١٤٠

أدب بدار الكتب . والصواب : بالغين ، وهو منهل بين المدينة والشام .

القَنَانِ وَشَغَبَ : موضعان معروفان . ومعنى كان قلبي إليه رائد عيني :
أن التخیل والتصور إنما هو للقلب ، فكأن القلب خَيَّلَ للعین أنها ترى
حبيبها ، فالمنة له عليها .

والبيت الأخير : معناه أنى كنت أضيف الغرور إلى طرفي ، وفي النوم
صار الغرور لقلبي ، لأنه خَيَّلَ لى ما لاحقيقة له .

ولهذا المعنى نبأ لا بد من أن أذكره ، وهو أننى لما كنت قلت فى جملة قصيدة :

وعهدى بتمويه عينِ المحبِّ تيمُّ على قلبه الطائرِ
فلما التقينا برغمِ الرُّقا دِ مَوَّهَ قلبي على ناظرى

وذلك على ما أظن فى سنة نيف وثمانين وثلاث مئة ، تداول أهل الأدب
إنشاد هذه الأبيات ، واستغربوا هذا المعنى ، وشهدوا بأنه مستجدٌّ ، غير
مسبوق إليه ، ولا متعرِّض له .

وسمع أخى ، رضى الله عنه ، هذه الأبيات ، لأنه قلما كان يخرج لى
شئ من الشعر ، إلَّا ويسمعه وينشده ، ولا يخرج له - رحمه الله - طول حياته
إلَّا ما ينشده ، فشهد لهذا المعنى بأنه مبتكر مخترع ، وأنه مستحسن
مستعذب . ولم أسمع له - رحمه الله - طول حياته فى هذا المعنى شيئاً . ولما
تصفحت شعره - رضى الله عنه - لإخراج ما يتعلق بالطيف فى هذا الوقت ، وهو
سنة نيف وعشرين وأربع مئة ، وجدت هذه الأبيات البائية ملحقة بخطه

— رحمه الله — فى الجزء الثانى من شعره ، فى حاشية ، فنقلتها عنه كما وجب ، لأنها بخطه الذى لأشك فيه .

ولست أعلم كيف جرت الحال فى هذا المعنى ، وهل قصد ، رحمه الله ، إلى نظمه على علم ، حتى لا يخلو من شعره هذا المعنى المستغرب المستعذب ، أو أنسى — رحمه الله — سماعه له ، وقذف به خاطره ، وجرى على هاجسه ، فأثبتته تقديرا على أنه مبدع له ، لامتبع فيه . فكثيرا ما يلحق الشعراء ذلك ، فيواردون فى بعض المعانى المسبوق إليها ، وقد كانوا سمعوها فأنسوها . فالخواطر مشتركة ، والمعانى معرّضة لكل خاطر ، جارية على كل هاجس . وكيف جرى الأمر ، وعلى أى القسمين كان ، فإن العنصر واحد ، والمعدن واحد ، وأينا سبق إلى معنى ، فالآخر بالنّجّر والسّنخ إليه سابق ، وبه عالق . وفى البيت الذى أوله :

كان قلبى إليه رائد عبنى

إلمام بهذا المعنى ، لأنه أضاف الخيال إلى القلب ، لأنه فيه يتخيل ، وله يتمثل ، والبيت الأخير الذى أوله :

كان عندى أن الغرور لطرفى

هو الذى استوفى فيه المعنى الذى فى شعرى ، لأنه أضاف الغرور فى النوم إلى القلب ، بعد أن كان مضافا إلى العين . ومع هذا التشاكل والتجانس ،

لما نظمته أنا مزية ظاهرة ، لأننى قلت : إن من العادة أن تغرَّ عين المحب قلبه . وفى الخيال غرَّ قلبه عينه . وهذا التفصيل لا يوجد إلا فى أبياتى .

وله من أثناء قصيدة :

طَرَقَ الْخِيَالُ بِيْطَنٍ وَجَرَّةَ بَعْدَ مَا زَعَمَ الْعَوَازِلُ أَنَّهُ لَا يَطْرُقُ^(١)
أَتَحَنُّنًا بَعْدَ الرُّقَادِ وَقَسْوَةً أَيَّامَ أَصْفِيكَ الْوَدَادَ وَأُمْدَقُ^(٢)
أَنِّي اهْتَدَيْتِ وَمَا اهْتَدَيْتِ وَبَيْنُنَا سُورٌ عَلَى مِنَ الظَّلَامِ وَخَنْدَقُ
هذه أبيات ناصعة رائقة، عليها مسحة من أعرابية ، وعَبْقَةٌ من بدوية .

ومعنى زَعَمَ الْعَوَازِلُ أَنَّهُ لَا يَطْرُقُ : أنهم ظنوا ذلك واعتقدوه .

وله ابتداء قصيدة :

أَرَأَيْتَ مِنْ طَيْفِ الْخِيَالِ وَصَالَا وَيَأْتِي خِيَالٌ أَنْ يَزُورَ خِيَالَا^(٣)
وَهَلْ أَبْقَتِ الْأَشْجَانُ إِلَّا مُمَثَّلَا تُعَاوِدُهُ أَيْدِي الضَّنَى وَمِثَالَا
أَلَمْ بَنَّا وَاللَّيْلُ قَدْ شَابَ رَأْسُهُ وَقَدْ مَيَّلَ الْغَرْبُ النَّجُومَ وَمَالَا
وَأَنِّي اهْتَدَى فِي مُدْهَمٍ ظَلَامِهِ يَخُوضُ بِحَارًا أَوْ يَجُوبُ رِمَالَا
تَأَوَّبَ مِنْ نَحْوِ الْأَحْبَةِ طَارِدًا رُقَادَى وَمَا أَسْدَى إِلَى نَوَالَا

(١) ديوانه (٢ : ٥٤٢) بيروت . (٢) أمْدَقُ : لم تخلصى لى الود .

(٣) من قصيدة يمدح بها أبا الفتح عثمان بن جنى (ديوانه ٢ : ٦٤٠) بيروت .

أَوَائِلَ مَسِّ الْغَمَضِ أَجْفَانِ مَقَاتِي كَمَا قَارَبَ الْقَوْمُ الْعَطَاشُ صِلَالًا

الصَّلَالُ : جمع صَلَاة ، وهى أرض مُطِرَتْ بين أرضين لم تُمْطَرَا :

وَمَا كَانَ إِلَّا عَارِضًا مِنْ طَمَاعَةٍ أَزَالَ الْكَرَى عَنْ مَقَاتِي وَزَالَا

أَمَّا قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

* وَيَأْبَى خِيَالٌ أَنْ يَزُورَ خِيَالًا *

فَإِنَّمَا أَرَادَ أَنَّ الْخِيَالَ الَّذِي يَطْرُقُ فِي النَّوْمِ ، وَيَتِمَثَّلُ لِلرَّاقِدِ ، يَأْبَى أَنْ يَزُورَ النَّحِيلَ الْمَدْنَفَ ، الَّذِي قَدْ صَارَ خِيَالًا ، مِنَ النِّحَافَةِ وَالنَّحُولِ . وَإِنَّمَا مُسَمَّى النَّاحِلِ الَّذِي قَدْ ذَابَ جِسْمُهُ ، وَذَهَبَ لَحْمُهُ ، وَغَاضَتْ نَضَارَتُهُ ، وَذَهَبَتْ غَضَاضَتُهُ ، خِيَالًا ، تَشْبِيهَا بِالْخِيَالِ الَّذِي يَتِمَثَّلُ لِلنَّائِمِ ، وَهُوَ مِمَّا لَا حَقِيقَةَ لَهُ وَلَا وَجْدَانٍ ، فَأَجْرَى مِنْ زَادِ نَحْوِهِ ، فَصَارَ عِنْدَ الرُّؤْيَةِ غَيْرَ مُتَحَقِّقٍ وَلَا مُتَيَقِّنٍ ، مُجْرَى الْخِيَالِ فِي النَّوْمِ ، الَّذِي لَا يَتَحَقَّقُ ، وَإِنَّمَا يُتَخَيَّلُ ، وَمَا زَالَتْ الشُّعْرَاءُ تَصِفُ النَّاحِلَ بِأَنَّهُ خِيَالٌ ، لَا يُحَسُّ وَلَا يُدْرِكُ وَلَا يُعْلَمُ .

وَلِعَمْرٍو بَنَ قَمِيئَةً ، وَيُقَالُ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ نَطَقَ بِوَصْفِ الطَّيْفِ .

نَأْتِكَ أَمَامَةً إِلَّا سُؤَالَ وَإِلَّا خِيَالًا يُوَافِي خِيَالًا

تَوَافِي مَعَ الْآثِيلِ مُسْتَوْطِنًا وَتَأْبَى مَعَ الصُّبْحِ إِلَّا زِيَالًا

خِيَالٌ يُخَيَّلُ لِي نَيْلَهَا وَلَوْ قَدَّرْتُ لَمْ يُخَيَّلْ نَوَالًا

فانظر إلى هذا الطبع المتدفق ، والنسيج المطرد المتسق ، من أعرابي قح ،
قيل إنه مفتوح لوصف الطيف . وكأنه لا تطباع سبكه ، وجودة وضعه ،
قد قال في هذا المعنى الكثير ، ونظم منه الغزير ، وقلب ظاهره وباطنه ،
وباشر أوله وآخره . وكأنه قد سمع فيه من أقوال المحسنين ، وإجادة
المجيدين ، ماسك منهجه ، وأخرج كلامه مُخرجه . ولكن الله تعالى أودع
هؤلاء القوم من أسرار الفصاحة ، وهداهم من مسالك البلاغة ، إلى ماهو
ظاهر باهر . ولهذا كان القرآن معجزا ، وعَلَمًا على النبوة ، لأنه أعجز قوما
هذه صفاتهم ونعوتهم .

ونظير قول ابن قميئة قولُ المجنون :

وإِنِّي لَأَسْتَفْشِي زِمَانِي نَعْسَةً لَعَلَّ خِيَالًا مِنْكَ يَلْقَى خِيَالِيَا

وإنما أراد: لعل خيالك الذي هو طيف يلقاني . ووصف نفسه بأنه
خيال لنحوه ، وخفاء شخصه . لاوجه لقول المجنون إلا ذلك .

ومن مליح ما قيل في ذلك قول الشاعر :

وَذُبْتُ حَتَّى صِرْتُ لَوْزُجَّ بِي فِي مُقَلَّةِ الْوَسَنَاتِ لَمْ يَنْتَبِهْ

فأما قوله رحمه الله : « وَأَنِّي اهْتَدَى فِي مَدْلَهْمٍ ظَلَامِهِ » إلى تمام
البيت ، فما زالت الشعراء في الشعر القديم والحديث ، تتعجب من اهتداء
الطيف إلى المضاجع ، وخفي الموضع ، مع الظلام المضلل للشرارة ، والبعد

القاطع للنبغة . وهذه جادة مسلوكة ، وطريق مهيع ، وماورد في ذلك
أكثر من أن يحصى .

ومن قديم الشعر في ذلك قول الشاعر :

فقلت لها أنى اهتديت لفتية أناخوا بجمعجاء قلائص مهما
فقلت كذاك العاشقون ومن يخف عيون الأعدى يجعل الليل سلما

وقال النظار الفقعسي ، وأحسن كل الإحسان :

أنى اهتدت لناخنا جمل ومن الكرى لعيوننا كحل
طرقت أبا سفر وناجية خرقاء يفرق بينها الرحل
في مهمته هجع الدليل به وتعلت بصريفها البزل
وكان أحدث من ألم به درجت على آثاره النمل

وقال عبید بن الأبرص :

طاف الخيال علينا ليلة الوادى من أم عمرو ولم يلهم بميعاد
أنى اهتديت لركب طال حبسهم في سبب بين د كذاك^(١) وأعقاد
وأخبرنا أبو عبید الله محمد بن عمران المرزباني ، قال : أخبرني محمد بن يحيى ،
قال : أخبرنا محمد بن زكريا الغلابي ، قال : قرأت على العباسة بنت السيد
ابن محمد الحميري ، لأبيها :

لعلوة زار الزائر المتأوب ومن دون مسراها الصفاح فككب
تسدت إلينا بعد هدو ودونها طویل الذرا من بطن نخلة أغلب

(١) أرض فيها غلظ . والأعقاد : جمع عقد بالتحريك ، وعقد بكسر القاف ،
وهو الرمل المتجمع .

فَقُلْتُ لَهَا أَنِّي اهْتَدَيْتِ وَدَوَّنَا قِفَارُ تَرَامِي بِالرَّكَائِبِ سَبَسْبُ
نَحُوفُ الرَّدَى قَفَرٌ كَأَنَّ نَعَامَهُ عَذَارِي عَلَيْهِنَّ الْمُلَاهُ الْمُجُوبُ
وبهذا الإسناد، قال : قرأت عليها لأبيها :

طَافَ الْخِيَالُ عَلَيْنَا مِنْكَ هَنَادَا وَهَنَا فَأَوْرَثَنَا كَهْمًا وَتَسْهَادَا
أَنِّي اهْتَدَيْتِ لِرَكْبٍ بَيْنَ أَوْدِيَةٍ لَمْ تَسْتَدِلِّي وَلَمْ تَسْتَحْقِي زَادَا
يَا أَحْسَنَ النَّاسِ مِنْ قَرْنٍ إِلَى قَدَمٍ

هَامَ الْفُؤَادُ بِكُمْ بَلْ طَارَ أَوْ كَادَا
مَا هَبَّتِ الرِّيحُ لِي مِنْ نَحْوِ أَرْضِكُمْ
إِلَّا تَحْيَرُ مَا الْعَيْنُ أَوْ جَادَا

معنى قوله تحير : أنه وقف في العين، وهي مطفحة به لا يجري . ونظير
ذلك قول البحتري :

دَمَعُ تَحْيَرٍ فِي الْجُفُونِ فَلَمْ يَزَلْ بَرَحُ الْغَرَامِ يَسُوقُهُ حَتَّى جَرَى
وبالإسناد المتقدم قال : قرأت عليها لأبيها :

طَافَ مِنْ هِنْدٍ خِيَالٌ فَذَعَرُ وَرَمَى عَيْنِي بِدَمْعٍ وَسَهَرُ
قُلْتُ لَمَّا أَنْ دَنَا مِنِّي لَهُ مَرَحَبًا أَلْفًا بِسَمْعِي وَالْبَصَرُ
هِنْدُ مِنْ أَيْنَ تَخَطَّيْتُ إِلَى رَكْبِ أَطْلَاحٍ مَطِيًّا قَدْ حَسَرَ^(١)
تَحْتَ لَيْلٍ سَاقِطٍ أَوْ كَنَافُهُ رَحُلُ صَرَعَى مِنْ كَلَالٍ وَسَهَرُ

صَادَتْ الْقَلْبَ وَلَمْ تَعْمِدْ لَهُ بِشْتَبِتِ النَّبْتَ عَذِبِ ذِي أُشْرُ
وهذا الرجل ، أعنى السيّد الحميري ، قوى الطبع ، جزل اللفظ ، سليم
التصرف والتقلب .

وقال البحتري :

أَنْتَى اهْتَدَيْتِ وَمَا اهْتَدَيْتِ لِمُعَمَدٍ فِي لَيْلِ عَانَةٍ وَالثُّرَيَّا تَجْنُبُ
ما أملح ما قيل في هذا المعنى ! لأنه أثبت الاهتداء ، وما اهتديت : تنبيهها
على أن ذلك التخیل باطل ، والتصور محال . فزاد على من تعجبه من
الاهتداء بقوله : « وما اهتديت » . وهذا المعنى يحىء في الشعر كثيرا ،
وفي شعري خاصة .

ولى :

وَكَيفَ اهْتَدَى وَالْقَاعُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَلَمَّا عَاةُ الْقَطْرَيْنِ مَنَاعَةُ الْقَطْرِ
ولى أيضا :

أَنْتَى اهْتَدَيْتِ وَكَيْفَ زُرْتِ وَبَيْنَنَا دُونَ الزَّيَارَةِ مَرْبَحٌ وَزَرُودُ ؟ !
وإنما تعجب الشعراء من اهتداء الطيف ، وتخلصه إلى المضائق ، وخفى
المسالك ، لأنهم فرضوا زيارته زيارة حقيقية ، وطروقا صحيحا ، فتعجبوا
مما يتعجب من مثله في ذلك ، من طىّ البعد في أقصر زمان . ومن الاهتداء
بغير هاد ولا مرشد ، مع تراكم الظلم ، وتشابه الطرق ، وفقد الظهر . ومن
فرض شيئا أجرى أوصافه له على ما فرضه ، دون ما هو عليه في نفسه .

وأما قوله ، رحمه الله :

وما كان إلا عارضا من طاعة أزال الكرى عن مقتلتي وزالا

فما زالت الشعراء في القديم والحديث تصف الطيف بأنه طمع كاذب ،
وظن باطل ، وظل زائل ، ويتصرفون في ذلك أحسن تصرف ، ويتقلبون
أملح تقلب ، قال الفرزدق :

لعمري لقد نبهت ياهند ميتا	فتيل كرى من حيث أمسيت نائيا
فطافت بأطلاح وطلحى كأنما	سقوا بحمام الموت للموت ساقيا
فباتت بنا ضيفا دخيلا ولا أرى	سوى حلم جاءت به الريح ساريا
وكنت إذا ما الريح جاءت بنشرها	إلى سقتني ثم عادت بدائيا

ولقيس أيضا :

إن التي طرقتك بين ركائب	تمشى بمزهرها وأنت حرام
باتت تعلقنا وتحسب أننا	في ذاك أيقاظ ونحن نيام
حتى إذا انصدع الصباح لناظر	فإذا وذلك بيننا أحلام

نظير قوله :

... .. وتحسب أننا في ذاك أيقاظ ونحن نيام

قول البحري :

إذا ما تبادلنا النفائس خلتنا	من الجد أيقاظا ونحن نيام
------------------------------	--------------------------

وقال بعض بني عقيل :

أما من ليالي الدهر إلا يُبلى بي خيالك إلا ليلة لا أنامها

والأقرع بن معاذ :

لقد طرقتنا أم عُمَان بعد ما هوى النجم والسَّاري إلى حبيب
فحيَّت فحيَّاها فهبَّ فحلقت مع النجم، رؤيا في المنام كذوب
وللحمدوى وهو كثير من مثله ، وروى أنه لعبد الصمد بن المعذل :

لم أنله فنبئتُه بالاماني في منامي سرًّا من الهجران
واصل الحلم بيننا بعد هجر واصلتُ مني مُفترقان
غير أن الأرواح خافت رقيبًا فطوت سرًّا عن الأبدان
منظرٌ كان لذة القلب إلا أنه منظرٌ بغير عيان

وأحسن ذو الرمة في قوله :

إذا نحنُ عرسنا بأرضٍ سرى لنا هوى لبسته بالقلوب اللوَّاسُ
نأت دَارُ مَيَّ أن تُزارَ وزورها إذا ما دجا الإظلامُ مِنَّا وسَّوسُ

ولى في وصف الخيال بأنه باطل، ومحال زائل :

زيارة الطيف ضربٌ من قطيعته وواصلٌ من لا تراه العين هجران

وسيجىء هذا البيت فيما أورده من شعري ، إن شاء الله تعالى .

ولى أيضا في هذا المعنى :

أفقت فلم تحصل على من الذي خدعت به إلا ظنون أجملها

ولى فى الطيف أيضا :

إِنَّمَا الطَّيْفُ كَلَفَظٌ فارغٌ مافيه معنى

ولى فى الطيف أيضا :

فَمَا نَحْنُ إِلَّا فِي إِسَارِ عَدَاةٍ وَعِنْدَ كَرَانَا أَنَّ ذَاكَ وَجُودٌ

المعنى كثير . وسيجىء فى مواضعه بعون الله تعالى . وإنما أشرنا هاهنا

إلى القليل منه .

وله من أثناء قصيدة^(١) :

أَلَمْ خَيَالُ الْعَامِرِيَّةِ بَعْدَ مَا تَبَطَّنَا جَفْنٌ مِنَ اللَّيْلِ أَوْطَفُ

يُحْيِي طِلَاحًا حِينَ قَهَمُوا بِوَقْعَةٍ تَهَاوَوْا عَلَى الْأَذْقَانِ مِمَّا تَعَسَّفُوا

وَقِيدِينَ قَدَمَالَ النُّعَاسِ بِهِامِهِمْ كَمَا أَرَعَشَتِ أَيْدِي الْمُعَاطِينَ قَرَقَفُ

هذه أبيات واصله إلى القلوب بغير استئذان ، لعدو به مسموعها ،

والأوطف : المسترخى . وإنما يعنى شيوع الليل وشموله . والطلاح : المغيون

الكاثون من شدة السفر .

وله وهو ابتداء قصيدة^(٢) :

مَاعِنْدَ عَيْنِكَ فِي الْخِيَالِ الزَّائِرِ أَطْرُوقُ زَوْرٍ أَمْ طَمَاعَةٌ خَاطِرِ

بَاتَ الْكَرَى عِنْدِي يُزَوِّرُ زَوْرَةً مِنْ قَاطِعِ نَائِي الدِّيَارِ مُهَاجِرِ

وله من قصيدة^(٣) :

أَمِنْكَ الْخِيَالُ الطَّارِقُ بَعْدَ هَجْعَةٍ يُعَاطِي جَوَى الظَّمَانِ مُبْتَسِمًا بَرْدًا

(١) يفتخر بآبائه (ديوانه : ٥٢٤) بيروت .

(٢) فى الفخر (ديوانه : ٣٦٩) بيروت . (٣) من قصيدة فى ديوانه ص ٣٠٧ ط بيروت

دَنَا مِنْ أَعَالِي الرَّقْمَتَيْنِ وَمَا دَنَا وَصَدَّ وَقَدْ وَلَّى الظَّلَامُ وَمَا صَدَّ
وَمِنْ عَجَبِ رَبِّي وَمَا نَقَعَ الصَّدَى وَعَدَّى لَهُ مَنَّا عَلَى وَمَا اعتَدَا
أَسَاءَ لِيَالِي الْقُرْبِ كَأَيَّاءَ وَهَجْرَةً وَأُسْدَى عَلَى بُعْدٍ مِنَ الدَّارِ مَا أُسْدَى
وله من قصيدة (١) :

مَا لَذَا الزُّورِ مَا يُغِيبُ مِنَ الرَّمْلِ طُرُوقًا فِي مَضْجَعٍ قَدْ أَقْضَا
مُهْدِيًا لِي مِنْ طِيبِ أَرْوَاحِ نَجْدٍ مَا يُدَاوِي نَكْسَ الْعَلِيلِ الْمُنْضَى
لَمْ يَكُنْ غَيْرَ خَطَرَةِ الْبَرْقِ، مَارَوْ دَ عَيْنَ الْمَشُوقِ إِلَّا وَمَضَا
قَادَهُ الْغَمُضُ مِنْ زُرُودٍ فَلَمَّا زَارَ أَنْبَى عَنْ مُقَاتَى الْغَمُضَا
يريد أنه لما تصرم وتقضى ، لم أنم شوقا إليه ، وتلهفا عليه ، فالغمض
جالب له ، وهو مشرد لما جلبه وأحضره .

وله من قصيدة (٢) :

وَزَائِرُ زَارَ عَلَى نَائِبِهِ بِمَدِّ الْأَسَى عَادَ بَعِيدَ الْغَرَامِ
أَمْنَزِلٌ عِنْدَ عَقِيقِ الْحَمَى وَمَضْجَعٌ عِنْدِي بِأَعْلَى الشَّامِ
زِيَارَةُ زَوْرَهَا خَاطِرِي مَا أَقْنَعَ النَّفْسَ بِزُورِ الْمَنَامِ !
خَدَائِعُ أَغْضَى عَلَى عِلْمِهَا أَعْلَاهَا تَنْقَعُ هَذَا الْأَوَامِ

(١) في الفخر (ديوانه : ٤٣٩) .

(٢) في وصف جارية (ديوانه ٢ : ٧٥٦) .

وله من جملة قصيدة^(١) :

يَا حَبَّذَا مِنْكَ خَيَالٌ سَرَى فَدَلَهُ الشَّوْقُ عَلَى مَضْجَعِي
بَاتَ يُعَاطِينِي جَنَى ظَلَمِهِ وَبِتُ ظَمَانٌ وَلَمْ أَنْقَعِ
مُعَانِقًا كَانَ عِنَاقِي لَهُ وَرَاءَ أَحْشَائِي وَالْأَضْلَعِ
عَاقَرَنِي يَشْرَبُ مِنْ مُهْجَتِي رِيًّا وَيَسْقِينِي مِنْ أَدْْمُعِي

معنى قوله رحمه الله : « فدلته الشوق على مضجعي » يريد شوقي إليه، لاشوقه إلى، لأن المحب الكليل بمحبوبه، لفرط وجده وكلفه، يتخيل له في المنام محبوبه، ويتمثل له حضوره، فلهذا أضاف اهتدائه لمضجعه إلى شوقه. ومعنى قوله رحمه الله : « معانقاً كان عناقى له » يريد : أنى تخيلت بقلبي، وجرى على اعتقادي وأنا نائم، أنى معانق له، فكان عناقى له من حيث تخيله بقلبي، كأنه فى أحشائى، ووراء أضلعى . والعناق المعتاد الحقيقى إنما هو بظاهر الأحشاء والأضلع .

انقضى مالاخى رضى الله عنه .

[ما أخرجه المؤلف من شعره هو في طيف الخيال]

وهذا ما أخرجته من ديوان شعري :

لى من أول قصيدة أولها :

لو لم تعاجله النوى لتحيرا

أهلاً بطيف خيال مانعة لنا يقطى ومفضلة علينا في الكرى

ما كان أنعمنا بها من زورة لو باعدت وقت الورود المصدرا

أردت في الكرى منى لا غير ، لأخرج من ضيق العذر الذى اتفق

للبحترى في قوله : « تهجر وسنى » . وليكن عذر قيس بن الخطيم في قوله :

« تؤتينه في النوم » هو عذر لقولى : « مفضلة علينا في الكرى » . وقد

تقدم كلامى في ذلك .

ولى من قصيدة أولها :

حييت ياربع اللوى من مربع

أحبب إلى وقد تغشى ناظرى

وسن الكرى بالطيف يطرق مضجعى

ما زال يخذعنى بأسباب الكرى حتى خشيت بأنه حقا معى

ولقد عجبت على المسافة بيننا كيف امتدى من غير هاد موضعى

أفضى إلى شعث لقوا هاماتهم لما سقوا خمر الكرى بالأذرع

هجعوا قليلاً ثم زعزع نومهم غب الشرى داعى الصباح المسمع

إنما أضفت خديعة الطيف إلى الكرى ، لأنه لولا النوم وأسبابه ،
ما تخيل الطيف ولا تمثل . وإنما قلت داعى الصباح المسمع ، لأنه ليس كل
داعٍ مُسمِعاً ولا مجاباً . ولما كان الناس يستيقظون ويُشَرُّون عند الصبح ،
جعلنا داعية مُسمِعاً .

ولى من قصيدة أولها :

ألا حبذا زمن الحاجر
وزورٍ تخطى جنوب الملا
فناديت أهلاً بذا الزائر
أتانى هذوا وعين الرقي
بمطروقة بالكرى الغامر
فأعجب به يسعف الهاجمين
وتحرمه مقلة الساهر
وعهدى بتمويه عين المحب
تتم على قلبه الطائر
فلما التقينا برغم الرقا
د موه قلبي على ناظري

الملا : الأرض الواسعة . ولما كانت طرفة العين تحجز عن إبصارها ،
وكان الكرى أيضا كذلك ، جعلت عين الرقيب من حيث منعها النوم
عن الرؤية ، كأنها به مطروقة . والعادة أن عين المحب تموه على قلبه ، حتى
يستحسن ما ليس بحسن ، أو ما لم يبلغ الغاية التى تخيلها أو اعتقدها .
وفى النوم انقلبت هذه العادة ، وصار القلب يُخَيِّلُ أن العين ترى ما ليس
تراه على الحقيقة .

فإن قيل : التخيل والاعتقاد إنما هو بالقلب ، فى نوم أو يقظة ،
ولاحظ للعين فيه فى الحالين . فالجواب أن الأمر على ذلك ، لكن العين
فى اليقظة تكون سببا لتخيل القلب فرط حسن بعض الأشخاص ، وإن لم

يكن كذلك ، فأضيف التمويه إليها ، لأنها كالسبب فيه . وفي النوم يعتقد
النائم بقلبه ، ويتخيل أنه يرى بعينه ما ليس يراه على الحقيقة ، فصار القلب
سببا لتخيل شيء يضاف إلى العين ، من رؤية ما ليس يراه ، فكأن التمويه
هاهنا من القلب على العين ، وليس يحتمل الشعر هذه المحاسبة والمناقشة ،
والإشارة فيه تكفي . وقد قصصنا خبر هذه الآيات فيما أخرجناه لأخي
رحمه الله .

ولي أيضا :

أَمِنْكَ سَرَى طَيْفٌ وَقَدْ كَادَ لَا يَسْرِى
وَنَحْنُ جَمِيعًا هَاجِمُونَ عَلَى الْقَمْرِ
تَعَجَّبْتُ مِنْهُ كَيْفَ أُمَّ رَكَابَنَا
وَأَرْحَلْنَا بَيْنَ الرَّحَالِ وَمَا يَذْرِى
وَكَيْفَ اهْتَدَى وَالْقَاعُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
وَلَمَّاعَةُ الْقَطَرَيْنِ مَنَاعَةُ الْقَطْرِ
وَأَفْضَى إِلَى شَعَثِ الْحَقَائِبِ عَرَّسُوا
عَلَى مَنَزِلٍ وَعَرٍ وَدَاوِيَّةٍ قَفَرٍ
وَقَوْمٍ لَقُوا أَعْضَادَ كُلِّ طَلِيحَةٍ
بِهِامٍ مَلَاهُنَّ النَّعَاسُ مِنَ الشُّكْرِ
سَرَوْا وَسَمَّاكَ الرُّمَحَ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ

فَمَا هَوَّنُوا إِلَّا عَلَى وَقْعَةِ النَّسْرِ
وَبَاتَ ضَجِيعًا لِي وَنَحْنُ مِنَ الْكَرَى
كَأَنَّا تُرَوِّينَا الْعَتِيقُ مِنَ الْحَرِّ
أَضْمُ عَلَيْهِ سَاعِدَى مِنَ الْحَشَا
وَأَفْرِشُهُ مَا بَيْنَ سَجَرِي إِلَى نَحْرِي
تَمَنِّيْتُهُ وَاللَّيْلُ سَارٍ بِشَخْصِهِ
إِلَى مَضْجَعِي حَتَّى التَّقِينَا عَلَى قَدَرٍ

معنى « وقد كاد لا يسرى » : أنتى ما كنت طامعا فيه ، ولا راجيا له ، ولا محدثا نفسى به . وإنما قلت مناعة القطر ، وهى على الحقيقة ممنوعة ، لا مناعة ، لأقابل بين لمّاعة ومنّاعة . والمعنى مع ذلك صحيح ، لأنها تمنع القطر السائر فيها ، وتعدمه منها . فجاز أن يقال مناعة ، وإن كانت هى أيضا ممنوعة . ومعنى البيت الذى أوله :

وقوم نَقَوْا أَعْضَادَ كُلِّ طَلِيحَةٍ

أنهم توسدوا أذرع الملى كلالا واستعجالا ، وتصعلكا وتحشنا ، وإنما قلت سماك الرمح ، ولم أقل السماك الرامح ، لضيق الشعر ، وما عد لنا مع ذلك إلا إلى لفظ مقبول غير مستثقل ، وبين كون السماك الرامح مُسامتا لقمة الرأس ، وبين وقعة النسر ، وهى تدليه للغروب ، زمان طويل مديد . ومعنى البيت الأخير أننى تمنيت ، وكانت رؤيتى لطيفه عقيب ذلك ، فكان الليل كان ساريا به فى وقت المنى للقارى ، حتى كأن اللقاء عقيب المنى .

ولى أيضا :

أَلَا يَا بِنْتَ الْحَيِّينِ مَالِي وَمَالِكَ	وماذا الذى يَتَنَابُنِي مِنْ خِيَالِكَ
هَجَرْتِ وَأَنْتِ الِهِمُّ إِذْ نَحْنُ جِبَرَةٌ	وَزُرْتِ وَشَحَطْتُ دَارُنَا مِنْ دِيَارِكَ
فَمَا نَلْتَقِي إِلَّا عَلَى نَشْوَةِ الْكَرَى	بِكُلِّ خُدَارِيٍّ مِنَ اللَّيْلِ حَالِكَ
يُفَرِّقُ فِيمَا بَيْنَنَا وَضَحُ الضُّحَى	وَتَجْمَعُنَا زُهْرُ النُّجُومِ الشَّوَابِكِ

وما كَانَ هذا البَذْلُ مِنْكَ سَجِيَّةً ولا الوَصْلُ يَوْمَ خُلةٍ مِنْ خِلَالِكَ
فَكَيْفَ التَّقِينَا وَالْمَسَافَةَ بَيْنَنَا وكيفَ خَطَرْنَا مِنْ بَعِيدٍ بِبَالِكَ
وقَدْ كُنْتَ لَنَا أَوْسَعُونا وَشَايَةً بِنَا وَبِكُمْ آيَسْتِنَا مِنْ وَصَالِكَ
فَلَمْ يَبْقَ فِي أَيْمَانِنَا بَعْدَ مَا وَهَتْ عقودُ التَّصَابِي رُمَّةً مِنْ حَبَالِكَ
وَلَيْسَ بَتْنَادُونَ رُملةً مُرْبِخٌ ^(١) خَطَوْتَ إِلَيْنَا عَانِكًا بَعْدَ عَانِكَ ^(٢)
وما كَانَ مَنْ يَسْتَوْطِنُ الرَّمْلَ طَامِعًا وَأَنْتِ عَلَى وَادِي مَنَى مِنْ تَمَارِكِ
ولما امْتَطَيْتِ اللَّيْلَ كُنْتَ حَقِيقَةً بغيرِ الْهَدَى لَوْلَا ضِيَاءُ جَمَالِكَ

الخداری : المظلم . وسحابٌ خداری وعقاب خداریة : في لونها سواد .
وهذه أبيات غريبة الطرح ، بدوية النسيج كما تراه .
ولى من قصيدة أولها :

إن العقيق يزيدني خبالاً

يَاطِيفُ زُرْنَا إِنْ نَشِطْتَ لَنَا فَالَرَّ كَبُ بِالْأَبْوَاءِ قَدْ نَزَلَا
عُدَّ النَّهَارَ مَطِيَّةً لَغَبَتْ وَخُذِ الظَّلَامَ عَلَى السَّرَى جَمَلًا
وَدَعِ التَّطَلُّبَ فَالْحَبِيبُ إِذَا مَلَّ الْوِصَالَ تَطَلَّبَ الْعِلَلَا
عَجَّلْ سُرَاكَ إِلَى مَضَاجِعِنَا وَإِذَا حَضَرْتَ فَلَاتَعِبْ عَجَلَا
مِنْ أَيْنَ تَعْلَمُ مِنْ نُحَاذِرُهُ قَطَعَ الْخِيَالُ الْحَبْلَ أَمْ وَصَلَا

اللغوب : هو الكلال والتعب . وأردت أن زيارة النهار كالمطية
اللاغبة، التي لا يمكن السير عليها ، فيجب العدول عنها إلى سرى الليل الذي

(١) سقطت كلمة سحاب من الأصل . وسحاب خداری : أسود . ومربخ : جبل من
جبال زرود ، أو رملة بالبادية (اللسان) . (٢) يقال رملة عانك : أى فيها تعقد .

يستر ولا يظهر . والبيت الرابع مليح المعنى . ومن جيد ما مدحت به زيارة الطيف ، أنها غير معلومة لمتتبع ، ولا محسوبة لمترصّد .

ولى أيضا :

يَاطِيفُ أَلَّا زُرْتَنَا بِسَوَادٍ لَمَّا تَضَرَّعْنَا حِيَالَ الْوَادِي
مَا كَانَ ضَرَّكَ وَالْوَشَاةُ بِمَعْزِلٍ عَنَّا جَمِيعًا لَوْ طَرَقَتْ وَسَادِي
وَالرِّىُّ فَيْكَ وَقَدْ صَدَدَتْ فَقُلْ لَنَا مِنَّا غَلِيلَكَ كَيْفَ يَنْقَعُ صَادٍ
وَمَنْ أَجَلٍ أَنَّكَ تُسْعِفِينَ عَلَى الْكَرَى

أَهْوَى الرُّقَادَ وَلَاتَ حِينَ رُقَادٍ
وَالْحُبُّ دَالًا فِي الْقُلُوبِ سَقَامُهُ خَافٍ عَنِ الرُّقْبَاءِ وَالْعُودَادِ
يَا زُورَةَ مِنْ بَاخِلٍ بِرُقَادِهِ عَجَلَتْ عَطِيَّتُهُ عَنِ الْمِيعَادِ
تَرَكَ الْبَيَاضَ لِأَمِنْ وَأَتَى بِهِ فَرَّقَ الْوَشَاةَ فِي ثِيَابِ حِدَادٍ
أردت بقولى : « والوشاة بمعزل عنا » : أى أنهم لا يشعرون لنا بنحبر ،
ولا يقفون منا على أثر . وقولى : « عجلت عطيته عن الميعاد » أى أنها
سبقت الميعاد ، وفجأت بغير وعد . وأردت بالبياض : النهار ، فإن زيارة
النهار لا تكون إلا مع الأمن والانبساط . وأردت بالحداد : سواد الليل .
لأن الخائف يستر بظلمة الليل ، ويستجنى بسواده .

ولى أيضا من قصيدة أولها :

أَمِنْكَ الشَّوْقُ أَرْقَنِي فَهَاجَا

وَطَيْفُكَ كَيْفَ زَارَ بِذَاتِ عِرْقٍ مَضَاجِعَ فِتْيَةٍ وَلَجُوا الْفِجَاجَا
فَطَرَقْنَا وَنَحْنُ نَحَالُ الْأَ يَعُوجَ بِنَا مِنْ الْبُلُوَى فِجَاجَا
فَأَوْهَمْنَا اللَّقَاءَ وَلَا لِقَاءَ وَنَاجَى لَوْ بِصِدْقٍ مِنْهُ نَاجَى
أَلَمْ بِنَا وَمَا رَكِبَ الْمَطَايَا وَلَا أَسْرَى وَلَا ادْلَجَ ادْلَاجَا
ولى من قصيدة أولها :

يَا صَاحِ لَيْسَ لِي سِرٌّ مِنْكَ كِتْمَانُ

مَاذَا عَلَى زَائِرِي لَيْلًا عَلَى سِنَةٍ لَوْ زَارَ صُبْحًا وَطَرَفُ الْعَيْنِ يَقْظَانُ
زِيَارَةُ الطَّيْفِ ضَرْبٌ مِنْ قَطِيعَتِهِ وَوَصْلٌ مَنْ لَا تَرَاهُ الْعَيْنُ هِجْرَانُ
وَلَيْسَ يَنْفَعُنِي وَالْبُعْدُ أَعْلَمُهُ قُرْبُ أَتَانِي بِهِ ظَنٌّ وَحِسْبَانُ
هذا من هجو الطيف الغريب الواقع ، لأن الزيارة إذا كانت باطلة
لا أصل لها فهي على الحقيقة قطيعة . ووصل من لا تراه العين هجران بغير
شبهة ، لأن هذا البيت كالأغريب ، فإننى لم أجده على هذا الترتيب
نظيرا . وأردت أن الظن والحسبان اللذين خيلا فى النوم القرب ؛ لا ينفعان
مع البعد المتحقق المتيقن .

ولى من قصيدة أولها :

أَمَا لَكَ مِنْ غَرَامٍ مَا أَمَالَا

هَجَرْتُ وَنَحْنُ أَيْقَاطُ بَوَجٍ وَزُرْتُ وَنَحْنُ كَاطِمَةٌ^(١) خَيْلَا

(١) أى بكاطمة ، سقط الجار ، فنصب الاسم .

وَلَيْسَ الْمَهْجَرُ عَنْ سَبَبٍ وَلَكِنْ
وَطِيفَ مَنْكُمْ بِمَجْنُوبٍ تَجِدُ
أَقَامَ عَلَى مَضَاجِعِنَا هُدُوءًا
لَهَوْتُ بِبَاطِلِ الْأَحْلَامِ حَتَّى
الَيْلَتَنَا بِكَاطِمَةٍ أَظَلَّى
فَلَيْسَ الصُّبْحُ مِنْ أَرْبَى وَحَسْبِي
خَلَوْتُ وَمَا خَلَوْنَا مِنْكَ بَلَا
أَرَانِي مِنْ زِيَارَتِكُمْ مِثَالًا
فَلَمَّا زَالَ عَنَّا النَّوْمُ زَالَا
وَدِدْتُ لَهُنَّ أَنْ اللَّيْلَ طَلَا
بِيَاضِكَ أَنْ يُبْلِمَ بِنَا ضَلَالَا
ظِلَالُ اللَّيْلِ أَسْكَنُهُ ظِلَالَا

أوقع ما وصفت به زيارة الطيف : أنها مثال الزيارة الحقيقية ، كما أن
الطيف مثال لصاحبه ولا حقيقة له .

ولى من قصيدة أولها :

أَمِنْ أَجْلِ مَنْ سَارَتْ بِهِنَّ الْأَبَاعِرُ
وَيُعْجِبُنِي وَالنَّاعِجَاتُ مُشِيحَةً
خِيَالٍ مِنَ الزُّورَاءِ فِي اللَّيْلِ زَائِرُ
يَزُورُ وَأَعْنَاقُ الْمَطِيِّ خَوَاضِعُ
كَلَالًا وَأَحْشَاءُ الْمَطِيِّ ضَوَايِرُ

ولى من قصيدة أولها :

أَلَا أَيُّهَا الْحَادِي
وَأَيْنَ الطَّفُّ مِنْ ظُمِيَا
جَفَا صُبْحًا وَوَفَانِي
وَأَعْنَاقُ الْمَطَايَا مِنْ
تَلَاقَيْنَا بِأَرْوَاحِ
قِفِ الْعَيْسَ عَلَى الْوَادِي
ءِ أَمْسَى وَهُوَ مُعْتَادِي
صَرِيحًا بَيْنَ رُقَادِ
كَلَالٍ بَيْنَ أَعْضَادِ
وَفَارَقْنَا بِأَجْسَادِ

الأرواح لا يصح عليها في الحقيقة التلاقى والتزاور ، ولكن الشعراء لما رأوا أن الأجساد في طيف الخيال لم تتلاق ، ولا تدانت ، نسبوا التلاقى إلى الأرواح ، تعويلا على قول من جعل النفس لها قيام بنفسها ، وأنها غير الجسد ، وأن التصرف لها ، فجربنا على هذه الطريقة ، وإن كان ذلك باطلا في التحقيق .

ولى من قصيدة أولها :

يَوْمَ الْحَمَى مَا أَنْتَ مِنْ هَمَّى

لَوْ كَانَ لِلْوَاشِينَ مَقْدِرَةٌ مَا سَوَّغُوكَ زِيَارَةَ الْحُلَمِ
زُرْتُ الْأُلَى بَانُوا بِكَاطِمَةٍ مُتَلَثِّمِينَ جَوَى عَلَى الرَّضَمِ
طَرَحُوا الْخُدُودَ عَلَى سَوَاعِدِهِمْ وَاللَّيْلُ فِي أَثْوَابِهِ الشَّحْمِ
وَلَقَدْ طَرَقْتَ وَمَا طَرَوْكَ فِي عِلْمٍ لِقَائِهِمْ وَلَا رَجْمِ

إنما أردتُ تفخيم شأن هذه الزيارة ، وحلاوة طعمها ؛ لأن اللذات الواردة من غير احتساب ولا انتظار ، أنفع وأوقع .

ولى من قصيدة أولها :

تِلْكَ الدِّيَارُ بَرَامَتَيْنِ هُمُودُ

وَلَقَدْ طَرَقْتَ وَمَا طَرَقْتَ صَبَابَةً بَيْنِي وَنَحْنُ إِلَى الرَّحَالِ هُجُودُ
فِي ظِلِّ خَوْصٍ كَأَقْسَى طَلَاغِحٍ أَخَذَتْ عَوَارِيَهُنَّ مِنْهَا الْبِيدُ

أَتَى اهْتَدَيْتِ وَكَيْفَ زُرْتِ وَبَيْنَنَا دُونَ الزَّيَّارَةِ مُرْبِخٌ وَزَرُودُ
وَمَفَاوِزٌ مِنْ دُونِهِنَّ مَفَاوِزٌ وَتَهَايُمٌ مِنْ فَوْقِهِنَّ نُجُودُ
معنى « عواريهن » منها البيد : أن هذه المطايا رعت منابت الأرض
وشجرها فأسمنها، ولما أجهدتها السير، وخذدَ لحومها وأهزلها، صار ما كان
أسمنها أهزلها، فكأنه مستردُّ لعاريته .

هذا معنى مطروق معروف في الشعر القديم والحديث . و « مُرْبِخٌ وَزَرُودُ » :
رملان في طريق مكة ، معروفان شاقان .

ولى من قصيدة أولها :

أشاعرة بما يلقى ظلومُ

وَلَيْسَلَةَ زَارْنَا مِنْكُمْ خَيَالٌ وَوَجْهُ الْإِيلِ مِنْ وَضَعِ بَهِيمُ
أَلَمْ يَبْاطِلِ وَيَوَدُّ قَلْبِي وَدَادًا أَنَّهُ أَبَدًا مُقِيمُ
وَأَحْسَبُهُ الضَّجِيعَ عَلَى وَسَادِي وَمَارَامَ اللِّقَاءِ وَلَا يَرُومُ
وَكَيْفَ يَزُورُ مِنْ بَلَدٍ بَعِيدٍ وَلَا عُنُقَ هُنَاكَ وَلَا رَسِيمُ

إنما قلت : مارام اللقاء ولا يروم، فنفيَت الماضي والمستقبل، لأن الطيف
إنما هو تخيل لا حقيقة له . فليس هو مما يجوز أن يروم ، لا ماضيا
ولا مستقبلا .

ولى من قصيدة أولها :

أَعْلَى الْعَوْدِ مَنَزِلُ بِالْجَنَابِ

حَيَّ بِالرَّقَمَتَيْنِ زَوْراً تَوَخَّأَ لَكَ دُجَى بَعْدَ هَدَأَةِ الْأَصْحَابِ
 زَارَنِى وَارْتَقَادُ مِنِّى وَمِنْهُمْ دَاخِلٌ فِي الْعُيُونِ مِنْ كُلِّ بَابِ
 زَوْرَةٌ زُوِّرَتْ عَلَى وَلَوْ كَأَنَّتَ يَقِينًا لَمَّا شَفَتْ بَعْضَ مَا بَى
 قولى : « داخل فى العيون من كل باب » : كناية عجيبة عن تمكن
 النوم من القوم ، واستقراره فى عيونهم ، وتحكمه فيهم ، وإنما أردت
 الاستغراق التام فى النوم .

ولى من قصيدة أولها :

أَذِرْ أَيْهَا السَّاقِ الْكُثُوسَ عَلَى صَحْبِى

فَيَاطِفَهَا أَلَّا طَرَقَتْ رِحَالَنَا وَنَحْنُ عَلَى الْأَذْقَانِ فِي جَانِبِ الشَّغْبِ
 نَشَاوَى كَأَنَّا سَاوَرْتَنَا زُجَاجَةٌ مُضَرَّجَةُ النَّاجُودِ دَامِيَةِ السَّكْبِ
 بِنَا مِنْ هَوَى لُقْيَاكَ كَرَبٌ نَحْبُهُ

فَلَوْ زُرْتَنَا نَفَسْتِ مِنْ ذَلِكَ الْكَرَبِ
 وَمَا ضَرَّ مَنْ يَأْبَى زِيَارَةَ مُقْلَتَى مُجَاهَرَةً لَوْ زَارَ مُسْتَخْفِيًا قَلْبِى
 وَمَنْ ضَنَّ فِي لُقْيَاىَ بِالصَّدْقِ مُسْرِفًا
 عَلَى مُرْتَجِيهِ كَيْفَ يَبْخَلُ بِالْكَذِبِ

معنى البيت الرابع : قد تقدم شرحه عند بيان معنى قولى :

مَوَّهَ قَلْبِى عَلَى نَاطِرِى

لأن زيارة المهاجرة هي التي ترى العين فيها الشخص على الحقيقة ،
وزيارة القلب : التي تتمثل فيها للقلب من زيارة الطيف ما لاحقيقة له .

ولى من قصيدة أولها :

لَيْتَ أَنَا لَمَّا فَقَدْنَا الْهَجُوعَا

قُلْ إِطِيفِ الْخَيَالِ لَيْلَةً هَوَّمْنَا بِنَجْدٍ أَلَّا طَرَقَتْ هَزِيمَا
وَالْمَطَايَا مِنَ الْكَلَالِ عَلَى رَمْلِ زُرُودٍ قَدْ افْتَرَشْنَ الضُّلُوعَا
مَا عَلَى مَنْ يَحِلُّ بِالْفَوْرِ لَوْ بَا تَ لَنَا طَيْفُهُ بِنَجْدٍ ضَجِيعَا
خَادِعُونَا بِالزُّورِ مِنْكُمْ عَنِ الْحَقِّ فَمَا زَالَ ذُو الْهَوَى مَخْدُوعَا
وَكَلُونَا إِلَى النَّزْوِعِ عَنِ الْحُبِّ وَهَيْهَاتَ أَنْ يُرِيدَ النَّزْوَعَا
وَاطْلُبُوا إِنْ وَجَدْتُمْ كَاتِمًا لِلسَّرِّ فِيكُمْ فَقَدْ وَجَدْنَا الْمَذِيعَا
ولى من قصيدة أولها :

يَا حَادِي الْعَيْسِ عَرِّجْ بِي عَلَى الدَّمَنِ

وَقَدْ جَفَانِي حَتَّى إِنْ طَارِقَهُ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ عَهْدًا أَيْسَ يَطْرُقُنِي
وَمَنْ يَضِنُّ بِزُورٍ مِنْهُ كَيْفَ يَدِي ^(١)

وَالنَّقْلُ لِلْحَقِّ يَوْمًا فِيهِ يَنْقُصُنِي

(١) كذا في الاصل ، وفي السلام غموض .

من ضنّ بالباطل مع سهولته وخفته ، كيف لا يضمن بالحق مع ثقله وكلفته .

ولى أيضا ، وهى ابتداء قصيدة :

زَارَكَ زَوَّارُ الْحُلُمِ	مُسْلِمًا بِذِي سَلَمٍ
فِي لَيْلَةٍ ظَلَمَ أَوْهَا	حَالِكَةً مِنَ الظُّلَمِ
كَأَنَّهَا إِيمِدَةٌ	أَوْ فَحْمَةٌ مِنَ الْفَحَمِ
جَاءَ وَسَادَى عَائِدًا	فَلَمْ أَرِنْ مِنَ السَّقَمِ
وَالرَّكْبُ فِي ظِلِّ نَقَى	لَوْ زَعَزَعُوهُ لَانْهَدَمَ ^(١)
كَأَنَّمَا مَرَّ الصَّبَا	رَقَشَ فِيهِ بِالْقَلَمِ

ولى من قصيدة أولها :

لَعَيْنِيكَ مِنْهَا يَوْمَ زَالَتْ مُحُولُهَا

وَلَيْلَةَ بَدْنَا بِالْأَبْرِقِ جَاءَنِي	عَلَى نَشْوَةِ الْأَخْلَامِ وَهَنَارَسُوهَا
خَيَالٌ يُرِينِي أَنَّهَا فَوْقَ مَضْجَعِي	وَقَدْ شَطَّ عَنِّي بِالْغَوِيرِ مَقِيلُهَا
فَيَا لَيْلَةَ مَا كَانَ أَنْعَمَ بَشَا	تَبَارَحَ غَاوِيهَا وَغَابَ عَذُوهَا
وَمَا ضَرَّنِي مِنْهَا وَقَدْ بَتُّ رَاضِيًا	بِبَاطِلِهَا أَنْ بَانَ صُبْحًا بَطُولُهَا
فَلَمَّا تَجَلَّى اللَّيْلُ بِالصُّبْحِ وَانْحَتَ	دِيَا جَرُّ مَرْخَاةٍ عَلَيْنَا سُدُولُهَا

أَقَفْتُ فَلَمْ يَحْصُلْ عَلَى مَنْ الَّذِي خُدِعْتُ بِهِ إِلَّا ظَنُّونَ أَجِيلَهَا
ولهذه الأبيات ، ما نراه ولا نقدر على جرده ، من الفصاحة والطلاوة ،
والبدويّة التي يوجد طعمها في فصيح كلام القوم ، وإنما أردت الطيف
رسولها ، لأنه مذكّرٌ بها ، ومشوّقٌ إليها ، ولأنه مثل لها ومترجم ، فجرى
مجرى الرسول .

وأما البيت الرابع : فمعناه أنه لا يشتم متعنى بالطيف ليلاولا ينقص لدى
به بيان بطلانه في الصبح ، لأن الحالتين متغايرتان . وقد قال الناس
في الطيف إنه ممتع نافع ، وإن كان زُورا وباطلا ، لكنهم ما بلغوا هذا
التحقيق ، ولا كشفوا عن العلة هذا الكشف . فالزيادة فيه على ما تقدمه
غير مجهولة . ومعنى قولي : « فلم يحصل على إلا ظنون أجيلها^(١) »

أن الطيف إذا كان على ما بيناه ، إنما هو تخييل وتمثيل ، واعتقادات
وظنون باطلة ، فمع اليقظة لا يحصل في اليد شيء منه ، إلا ذلك الظن الباطل ،
والتخييل الفاسد . وكان عندي أنني سابق إلى وصف الطيف بأنه رسول ،
ومنفرد بهذا المعنى ، لأنني ما كنت وقفت فيما تصفحته ورويته على نظير
له ، إلى أن رأيت وأنا أُملي هذا الكتاب ، لأشجع أناسي ، فيما رواه أبو عبد الله
المرزباني عن شيوخه قوله :

حَيَّ طَيْفًا أَتَاكَ بَعْدَ الْمَنَامِ فَتَخَطَّى إِلَيْكَ هَوَلَ الظَّلَامِ

(١) إشارة إلى البيت الأخير من المقطوعة ، انظره في أعلى هذه الصفحة .

شَحَطَ الْحَى مِنْ سَعَادَ وَمِنَّا رُسُلُ بَيْنَنَا مِنَ الْأَخْلَامِ
بَحَلَّتْ بِالسَّلَامِ يَقْظَى وَجَادَتْ بِهِوََاهَا وَنَفْسَهَا فِي الْمَنَامِ

ووجدت أيضا ، فيما استأنفت تصفحه وتأمله للبحترى :

إِذَا أُرْسِلَتْ طَيْفًا يُدْكَرُ نِيَّ الْجَوَى رَدَدْتُ إِلَيْهَا بِاللَّجَّاحِ رَسُومَهَا

ومما يمكن أن يكون نظيرا لذلك قول البحترى :

وَلَيْلَةً هَوَّ مَنَا عَلَى الْعِيسِ أُرْسِلَتْ بِطَيْفِ خَيْالٍ يُشْبِهُ الْحَقَّ بَاطِلُهُ

وهذا على ما تراه نظير لقولى :

« جاءنى رسومها وما شعرت به ^(١) »

وكما قلت فى كثير من كتبى وأمالى : إنه لا ينبغي لمصنف أن يقول هذا البيت مسروق المعنى من فلان ، لأنه قاطع على مالا يأمن هذا أن يكون كذبا ، وربما تواردا فيه من غير قصد . والأولى أن يقال : هذا نظيره وشبيهه . وهكذا يجب أيضا ألا يطلق أحد فى معنى من المعانى ، أنه متفرد به ، وسابق إليه ، وإن كان لم يُسمع له نظير ، ولا أثر له على شبه ، لأنه لا يأمن أن يكون فيما لم يبلغه ، ولا اتصل به ، قد ورد ذلك المعنى ، فإن الخواطر لا تُضبط ولا تحصر . ومن ذا الذى يحيط علما بكل ما قيل وسطر وذكر ؟ والإنصاف أن يقال فى مثل هذا المعنى : ينفرد به فلان على ما بلغنى ، واتصل وانتهى إليه تصفحى وتأملى .

ومن نظم معنى نتجّه خاطره ، وسمح له به هاجسه ، لم يكن يحتذى فيه

(١) إشارة إلى المعنى الوارد فى البيت الأول من المقطوعة الأخيرة .

مثال غيره ، فهو في الحقيقة كالسابق إليه وإن كان قد وُجد له نظيرٌ
ما عرفه ولا بلغه ، يسلب الفضيلة من اعتمد على معنى سبق إليه غيره، فنظمه
وأدخله في كلامه ، لأنه لم يحظ بفضيلة السبق التي يقتضيها نتيجة الفكر،
وثمرة الخاطر . ومن أخرج إليه خاطره بعض المعاني من غير أن يكون سمعه
ولا قرأه ولا احتذاه ، فله فضل الاستخراج والاستنباط الدالين على قوة
الطبع ، وصحة الفكر ، وما علمه بعد ذلك أن يكون قد تقدمه متقدم فيه،
فوقع التوارد فيه من غير عمد ، فإب تجويز ذلك لا يسأب مدحا ،
ولا ينقص فضلا .

ولى أيضا وهو ابتداء قصيدة :

عَجِبْنَا مِنْ خَيَالِكَ كَيْفَ زَارَا عَلَى عَجَلٍ وَمَا أَمِنَ الْخِذَارَا
أَنْى وَالشَّوْقُ جَاذِبُهُ إِلَيْنَا وَمَنْ تَبِعَ الْهَوَى رَكِبَ الْخِطَارَا
تَلَاقٍ ضَاعَ مَا أَغْنَى فِتْيَلَا سِوَى أَنْ هَاجَ لِلْقَابِ إِذَا كَارَا

ولى من قطعة مفردة :

وَزَائِرِ زَارَنِى وَهَنَّا يُغَالِطُنِى وَلَوْ لَدَيْتُ بَيَاضَ الصُّبْحِ لَمْ يَزُرْ
تَمَّتْ لَهُ وَسُتُورُ اللَّيْلِ مُسْبَلَةٌ

بَيْنِي وَبَيْنَ يَقِينِي وَالْكَرَى سُكْرَى
وَلَوْ أَرَادَ خِدَاعِي غَيْرَ ذِي وَسْنٍ لَكَانَ مِنْ نَيْلِ مَا يَبْغَى عَلَى غَرَرٍ

البيت الثانى : عجيب المعنى ، لأنَّ تخيل الطيف إنما يتم بالنوم ، حَجَزَ
بين اليقين وبين النَّأْم ، فاءتقد ما لا حقيقة له .

ولى أيضا من قطعة :

أُتْرِى عَنْ حُسْنِ رَأًى زَارَنَا طَيْفُكَ وَهَنَا
لَمْ يُفِدْنَا وَطَرِيفِ خَا دِعْ يُوْجِبُ مَنَا
إِنَّمَا الطَّيْفُ كَلْفِظٍ فَارِغٍ مَا فِيهِ مَعْنَى
كَمْ رَأَيْنَا بَاطِلًا نَفْسَ كَرَبًا مِنْ مَعْنَى

ما وجدتُ إلى الآن تشبيه الطيف الذى لا مفتش له ولا محصول ، باللفظ
الخالى من معنى ، العاقل من غرض ، وإن كان قد قيل قديما وحديثا : إن
الطيف باطل وزور ومُحَال ، ولا عائدة له ، فما شبهوه هكذا باللفظ الفارغ ،
فهذا التشبيه هو الغريب .

ولى وهو ابتداء قصيدة :

مَا زُرْتُ إِلَّا خِدَاعًا أَيُّهَا السَّارِى
نَمَّ انْقَضَيْتَ وَمَا قَضَيْتَ أَوْ طَارِى
أَتَى يَزُورُ عَلَى الظُّلَمَاءِ مِنْ شَحَطِ
مَنْ كَانَ صُبْحًا وَقُرْبًا غَيْرَ زَوَّارِ
لَا مُنْعَةَ لِي بِمَنْ نَادَمْتُ صُورَتَهُ
لَمَّا أَتَتْنِي بِهَا فِي اللَّيْلِ أَفْكَارِى
وَلَوْ أَرَدْتُ بِي الْإِسْعَافَ زُرْتُ وَمَا

دَرَى الدُّجَى لِلْكَرَى مَا بَيْنَ أَشْفَارِى^(١)

(١) الأشفار : جمع شفر بالضم : وهو حروف الألفبان التى ينبت عليها الهدب .

وَلَيْسَ يَنْفَعُ مَنْ يُضْحِي بِمُجْدِبَةٍ أَنْ بَاتَ مَائِنَ جَنَاتٍ وَأَنْهَارِ

هذا من الابتداءات المشار إليها فصاحة وبلاغة . وقولي : مازرت
إلا خداعاً يحتمل وجهين :

أحدهما : أن يكون المعنى مازرت حقيقة ، لكنك خادعت خداعاً .
ويحتمل أيضاً أن أريد : مازرت إلا للخداع ، كما تقول ما قصدتك إلا
إكراماً لك ، أى للإكرام . وكيف لا يعجب من تارك الزيارة في الصبح
مع قرب ، إذا زار في الظلماء من بعد . ولهذا الكلام ماله في الاطراد
والاستقامة ، وحسن المقابلة .

وإضافة الطيف إلى الفكر . قد تقدم الكلام على نظيرها مستوفى .
وإذا كان من يُضْحِي بالأرض المجذبة المقفرة ، لا ينفعه أن كان باثناً
بين الرياض الناضرة ، والجنان الزاهرة ، فأولى أن لا ينفع من خيل له
الطيف الانتفاع والاستمتاع ، ثم أصبح عارياً من ذلك كله ، فارغاً من جميعه .
ولى من قصيدة أولها :

أَلَا لَيْتَ عَيْشاً مَاضِياً عَنْكَ بِالْحَمَى	وَأِنْ لَمْ يَعُدْ مَاضٍ عَلَيْكَ يَعُودُ
وَيَا زَوْرَنَا لَمَّا سَمَحْتَ بِزَوْرَةٍ	سَمَحْتَ بِهَا وَهْنًا وَنَحْنُ هُجُودُ
عَلَى غَفْلَةٍ جَاءَ الْكَرَى بَاعِثًا لَنَا	بَلَا مَوْعِدٍ وَالزَّائِرُونَ هُمُودُ
فِيَا مَرْحَبًا بِالطَّارِقِ بَعْدَ هَجْعَةٍ	تَقَرُّ بِهِ الْأَحْلَامُ وَهُوَ بَعِيدُ

وَعَلَّمَنِي كَيْفَ الْمَحَالِ لِقَاؤُهُ وَأَتَى التَّقَاءَ وَاللِّقَاءَ كَثُودُ
وَمَا نَحْنُ إِلَّا فِي إِسَارِ عَدَامَةٍ وَعِنْدَ كَرَانَا أَنْ ذَاكَ وَجُودُ
قولى : تقريبه الأحلام وهو بعيد : له شهادة من نفسه على فضله ، غير
مردودة ولا مجحودة . وإنما أضفت إلى الكرى أن العدم الذى نحن فيه
وجود ، لأنه السبب فى هذا الاعتقاد الفاسد ، والظن الباطل .

ولى وهى قطعة مفردة :

أَلَمْتُ بِنَا بَعْدَ الْهَدُوءِ وَرُبَّمَا
فِيَالِكَ مِنْ يَوْمٍ شَحَطَتْ بَيَاضُهُ
وَمِنْ مُغْرَمٍ يَقِلُّ لَذِيذُ انْتِبَاهِهِ
وَمِنْ مُسْعِفٍ جُنْحًا بِطِيبِ عَنَاقِهِ
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ حَقًّا فَقَدْ بَاتَ مُغْرَمٌ
مُحِبًّا بِهِ مِنْ بَاذِلٍ لِي حَلَالُهُ
وَمِنْ مُلْتَقَى عَذْبِ الْمَذَاقِ وَتَحْتَهُ
وَلَا عَيْبَ فِيهِ غَيْرَ قُرْبٍ زَوَالِهِ
أَلَمْ يَبْنَا مَنْ لَيْسَ تَرْجُو لِمَامَهُ
فَلَمْ يَعُدَّنِي حَتَّى رَضِيَتْ ظَلَامَهُ
وَيَهْوَى لِمَا جَرَّ الْمَنَامُ مَنَامَهُ
وَكَمْ حَرَّمَ الْعُشَّاقَ صُبْحًا كَلَامَهُ
يُدَاوِي بِتِلْكَ الْبَاطِلَاتِ سَقَامَهُ
وَقَادِرٌ بِذَلِكَ الْبَدْلِ مِنِّي حَرَامَهُ
فَلَمْ يَرْضَ لِي حَتَّى رَبِحْتُ أَثَامَهُ
عَلَى أَنْ مُشْتَقًّا أَرَادَ دَوَامَهُ

لهذه الأبيات فوق ما شاء المقترح المُشِطُّ من حسن تصرف ، وتقلب

فى أوصاف الطيف ، وخروج من معنى إلى غيره ، بكلام جزل سهل .

وقد تضمن البيت الذى أوله :

مُحِبًّا بِهِ مِنْ بَاذِلٍ لِي حَلَالُهُ

والبيت الذى يليه ، معنى فى الطيف غريبا ، ماظفرت بنظير له إلى الآن
فى الشعر المدون ، لأن بلوغ الغاية فى المتعة بطيف الخيال ، لا يكون إلا
مباحاً ، لا إثم فيه ولا عار ، وقد يكون حراماً وإثماً وعاراً ، لو كان فى اليقظة ،
وعلى الحقيقة . وقد تكرر هذا المعنى فى شعرى .

فإن اشتبه سبق البحترى إلى هذا المعنى فى قوله :

فَمَا نَلْتَقَى إِلَّا عَلَى حُلْمٍ هَاجِدٍ يَحِلُّ لَنَا جَدْوَاكَ وَهِيَ حَرَامُ

فالجواب : أن البحترى إنما عنى أن النوم يبذل لنا جدواك ، بعد أن
كانت ممنوعة ، فعبر عن البذل بالتحليل ، وعن المنع بالتحريم ، وذلك
مليح منه ، ولم يرد التحليل والتحريم الحقيقين ، وإنما أراد أنا لا نلتقى إلا
فى النوم الذى بذل من الالتقاء ما كان ممنوعاً ، فكأنه أحل حراماً .

فإن قيل يجوز أن يكون عنى ما ذكرته ، وعنى أيضاً أن التمتع فى النوم
يكون حلالاً ، وإن كان فى اليقظة حراماً ، قلنا : الجدوى هى العطية ،
والعطاء لا يحرم على الحقيقة فى اليقظة ويحل فى النوم ، والمتعة بالطيف هى
التي لها هذه الصفة . فإذا قيل ألا أراد بالجدوى ضروب التمتع والتلذذ ؟
قلنا هذا عدول عن ظاهر الكلام بغير ضرورة ، ولو أن مقسماً أقسم على
أن البحترى ما خطر بباله ما صرحنا نحن به فى الأبيات الميسية ، وإنما عنى
ما حكيناه ، لكان صادقا .

فأما قول الفرزدق :

إِذَا مَا نَأَتْ عَنْ حَيِّتٍ وَإِنْ دَنْتَ فَأَبْعَدُ مِنْ بَيْضِ الْأُنُوقِ كَلَامُهَا
وَتَمْنَعُ عَيْنِي وَهِيَ يَقْطَعُ حِلَالَهَا وَيُبْذَلُ لِي عِنْدَ الْمَنَامِ حَرَامُهَا
فليس له بالمعنى الذى اختصصت به شبهة ، وإن كان قد أتى بلفظ
التحريم والتحليل ، وليس المعول على الألفاظ ، وإنما المعول على المعانى .
وإنما أراد الفرزدق أنها تمنع عينه وهى يقطعى ، ما هو حلال من النظر إليها ،
والتسليم عليها ، وتبذل له عند منامه ما هو حرام من التمتع التام بها ، وهذا
ضد ما قصده أنا من المعنى ، لأن الفرزدق قرن التحليل باليقظة ،
والتحريم بالمنام ، وأنا جعلت التحليل فى النوم ، والتحريم فى اليقظة .
وكل منا قصد مقصدا صحيحا ، لأنى أردت أن التمتع الذى نلتته فى النوم
حلالا ، لو كان فى اليقظة لكان حراما .

والفرزدق أراد به أنها تمنع فى اليقظة من كلام وما أشبهه حلالا ،
وتبذل له عند المنام ما هو حرام . وإنما يريد أنه حرام لو كان فى اليقظة ،
فإن ما يكون فى النوم لا يكون حراما . فبان بهذا الشرح خلاف المعنى
الذى قصده لمعنى الفرزدق .

ولى من قصيدة أولها :

مَرَّتْ بِنَا بِمُصَلَّى الْخَيْفِ سَانِحَةً

كَمْ مَرَّةٍ زُرْتِنَا وَهَمْنَا عَلَى عَجَلٍ سَرَيْتَ فِيهَا وَمَا أَسْرَتْ مَطَايِكَ
حَتَّى التَّقَيْنَا عَلَى رَغَمِ الرُّقَادِ وَمَا ذَاكَ اللَّقَاءِ سِوَى وَشَوَاسِ ذِكْرِكَ

ولى من قصيدة أولها :

هِيَ الدَّارُ مَوْقُوفٌ عَلَيْكَ هَوَاهَا

زَارَتْ وَسَادَى فِي الظَّلَامِ خَرِيدَةً أَرَاهَا الْكَرَى عَيْنِي وَلَسْتُ أَرَاهَا
تَمَانِيعُ صُبْحًا أَنْ أَرَاهَا بِنَظِيرِي وَتَبْدُلُ جُنْحًا أَنْ أُقْبَلَ قَاهَا
وَمَا سَرَتْ لِي تَخْشَى وَهَنَا ضَلَالَةً وَلَا عَرَفَ الْعَدَالُ كَيْفَ سَرَاهَا
فَمَنْ ذَا الَّذِي مِنْ غَيْرِ وَغَدٍ أَتَى بِهَا وَمَنْ ذَا عَلَى شَرْبِ الْمَزَارِ هَدَاهَا
وَقَالُوا عَسَاهَا بَعْدَ زُورَةٍ بَاطِلٍ تَزُورُ بِلَا رَيْبٍ فَقُلْتُ عَسَاهَا

معنى البيت الأول : أن الكرى خيل لي أن أراها بعيني ، وإن كنت

لا أراها على الحقيقة .

ولى من قصيدة أولها :

دَعِ الْهَوَى يَتَّبِعُهُ الْآخِرُ

لَا طَرَقَ الطَّيْفُ الَّذِي كَانَ مِنْ أَكْبَرَ هَمِّي أَنَّهُ يَطْرُقُ
حَدَّثَ قَلْبِي وَهُوَ طَوْعُ الْهَوَى مُحَدَّثٌ فِي النَّوْمِ لَا يَصْدُقُ
وَكَيْفَ لَوْلَا أَنَّهُ بَاطِلٌ يَسْرِي وَمَا سَارَتْ الْأَيْنُقُ
زَارَ وَمَا زَارَ سِوَى ذِكْرِهِ وَبَيْنَنَا دَاوِيَةٌ سَمْلَقُ

إنما قلت : لَا طَرَقَ الطَّيْفُ ، لأنني بنيت هذه القصيدة على ذم اتباع

الهوى ، والانحراط في سلكه . ومن عَزَفَ عن الهوى والانحراط

في سلكه ، لا فائدة له في طروق الطيف . وإنما جعلتُ هذا المحدث لا يصدق في النوم خاصة^(١) ، لأن النوم هو السبب في كذب ظنون النائم ، وفساد أحاديثه لنفسه واعتقاداته .

وقد تقدم أن قولي «زار وما زار سوى ذكره» : أجود ، وأشد تحقيقاً من كل نظيره في هذا المعنى .

ولي في هذا المعنى من قصيدة أولها :

لَمِنْ ضَرَمٍ عَلَى الْيَفَاعِ تَعَلَّقَا
وَقَدْ زَارَنِي بَعْدَ الْهَدْوِ خَيَالُهُ فَجَدَّدَ مِنْ شَوْقِي وَمَا كَانَ أَخْلَقَا !
فَلِلَّهِ مَرْدُودٌ إِلَى طُرُوقِهِ وَمَا كُنْتُ أَرْجُو مِنْهُ بِاللَّيْلِ مَطَرَقَا
ولي من قصيدة أولها :

قَدْ كَانَ يَدْرُكُ عِنْدَ كُنِّ السُّوْلِ
وَطَرَقَنِي وَهَنًا بِأَجْوَا زِ الرُّبَا وَطَرُوقُهُنَّ عَلَى النَّوَى تَخْيِيلُ
يَالَيْتَ زَايَرَنَا بِفَاحِجَةِ الدُّجَى لَمْ يَأْتِ إِلَّا وَالصَّبَاحُ رَسُولُ
فَقَلِيلُهُ وَضَحَ الضُّحَى مُسْتَكْثَرُ وَكَثِيرُهُ غَبَشَ الظَّلَامَ قَلِيلُ
مَاعَابَهُ ، وَبِهِ الشُّرُورُ ، زَوَالُهُ فَجَمِيعُ مَاسَرِّ الْقُلُوبِ يَزُولُ

هذه الأبيات لا فقر بها إلى تفسير وتنبية ، كما لا حاجة بها إلى مدح وإطراء .

ولي من قصيدة أولها :

مَاقَرَبُوا إِلَّا لِابْنِ نُوْقَا

(١) في الأصل : حاضرة ، ولا معنى لها هنا .

طَرَقَ الْخَيَالُ وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَ النَّوَى هَذَا الْخَيَالُ لَنَا هُنَاكَ طَرُوقًا
لَمْ أَذِرْ مَا هُوَ غَيْرَ أَنْ طَرُوقَهُ أَغْرَى بِشَائِقَةِ الْقُلُوبِ مَشُوقًا
ولى من قصيدة أولها :

وَزُورِ زَارَنَا وَاللَّيْلُ دَاجٍ وَقَدْ مَلَأَ الْكَرَى مِنَّا الْعُيُونَا
يُرِينِي أَنَّهُ ثَانٍ وَسَادِي مُضَاجَعَةٌ وَزُورٌ مَا يُرِينَا
نَعِمْتُ بِبَاطِلٍ وَيَوَدُّ قَلْبِي وَدَادًا لَوْ يَكُونُ لَنَا يَقِينَا
ولى من قصيدة أولها :

إِنْ عَلَى رَمْلِ الْعَقِيقِ خِيَمًا

نَبَا فَمَا نَأْمُلُ فِي لِقَائِنَا ذَاتَ الثَّنَايَا الْغُرِّ إِلَّا الْخُلَمَا
أَهْوَى وَإِنْ كَانَ لَنَا تَعَلَّةٌ طَيْفًا يُوَافِي مِنْكُمْ مُسَلَّمَا
يَبْذُلُ لِي مِنْ بَعْدِ مَاضٍ بِهِ وَشَافِعِي النَّوْمُ : الْعِذَارَ وَالْفَمَا
وَجَادَ حِلًّا وَالذُّجَى شِعَارُنَا بَنَائِلٍ لَوْ كَانَ صُبْحًا حَرَمًا
حُبٌّ بِهَا إِلْسَامَةٌ مَأْمُونَةٌ وَزَوْرَةٌ يُزِيحُ فِيهَا التُّهْمَا
وَجَدْتُ فِيهَا كُلَّ مَا أَحْبَبْتُهُ لَكِنَّ وَجْدَانًا يُضَاهِي الْعَدَمَا
مَا عَلِمْتُ نَفْسِي بِمَاذَا حُبِّيتُ وَلَا الَّذِي جَادَ عَلَيْهَا عَلِمَا

معنى البيت الأول : أن التباعد بيننا قويت أسبابه ، وأرتجت أبوابه ،

إما لبعده المسافات ، أوقوة الوشايات ، حتى مانطمع في تلاقٍ إلا في النوم ،
وهذه غاية اليأس من اللقاء والاجتماع .

ولقولى : « وشافعى النوم » من البلاغة ، مالا أخشى جرده ورده ،
ولما كان الشافع يقرب بعيد الحاجة ، ويُظفر بنجاحها ، وكان النوم كذلك
في طيف الخيال ، ولا سبب له سواه ، سُمي النوم شافعا في الزيارة ، وبلوغ
المراد منها .

وقولى « وجاد حِلًّا والدَّجَى شعارنا » : نظير قولى :
« نَحْبُ بِهِ مِنْ بَاذِلٍ لِي حَلَالَهُ وَفَادِ بَذَاكَ الْبَذْلِ مِنْهُ حَرَامَهُ »^(١)
وقد تقدم بيانه ، وأنه غريب لأعرف سابقا إليه . ومعنى قولى :
حُبُّهَا بِهَا إِمَامَةً مَأْمُونَةً
يَحْتَمِلُ أَنْ الْإِثْمَ وَالْعَارَ فِيهَا مَأْمُونَانِ ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهَا غَيْرُ مَتَّهِمَةٍ وَلَا مُسْتَرَابٍ
بِهَا . وَأَكَّدَتْ ذَلِكَ بِقَوْلِي :

وَزَوْرَةٍ يُزِيحُ فِيهَا التُّهْمَا
ومعنى البيت الأخير: أن العلم مفقود في طيف الخيال ، ممن طرقه الخيال ،
وممن ذلك الخيال مثال له ، ومتصور به .
ولى وهو ابتداء قصيدة :

بَلَّغْنَا لَيْلَةَ الشَّغْبِ^(٢) عَجَالًا مُنِيَةَ الْقَلْبِ
تَلَاقَيْنَا كَمَا شِينَا بِلَا عِلْمٍ مِنَ الرَّاءِ كَبِ

(١) تقدم هذا البيت في صفحة ٩٣ .

(٢) الشغب : مكان بالبادية بين المدينة والشا

وَطِيفٍ طَافَ مِنْ ظَمْنِيَا وَالْإِصْبَاحُ فِي الْحُجُبِ
جَفَتَ عَيْنِي وَجَاءَتْ فِي دُجَى اللَّيْلِ إِلَى قَلْبِي
وَزَالَتْ غِبًّا مَازَارَتْ وَمَا قَلْتُ لَهَا حَسْبِي
وَوَلَّتْ لَمْ تُنِلْ شَيْئًا مِنَ الْغُفْرِ سِوَى حُبِّي

نظيرُ قولِي: « جَفَتَ عَيْنِي ... البيت » قولِي: « مَوَّهَ قَلْبِي عَلَى نَظَرِي ».

وقولِي :

وَمَا ضَرَّ مَنْ يَأْتِي زِيَارَةَ مُقَلَّتِي مُجَاهَرَةً لَوْ زَارَ مُسْتَخْفِيًا قَلْبِي
وقد تقدم ذلك .

ولي وهي قطعة مفردة :

وَزُورِ زَارَنِي وَاللَّيْلُ دَاجٍ فَعَلَّنِي بِبَاطِلِهِ وَوَلَّى
سَقَانِي رِيْقَهُ مَنْ كُنْتُ دَهْرِي مَذُودًا عَنْ حَرَّاشِفِهِ مُحَلًّا^(١)
وَأُوْلَى فَوْقَ مَا أَهْوَاهُ مِنْهُ وَمَا يَذْرَى بِمَا أُعْطَى وَأُوْلَى
وَأَرْخَصَ قُرْبَهُ بِاللَّيْلِ مَنْ لَوْ سَأَلْنَا قُرْبَهُ فِي الصُّبْحِ أَغْلَى
نَعِمْنَا بِالْحَبِيبِ دُجَى فَلَمَّا تَوَلَّى وَاضْمَحَلَّ لَنَا اضْمَحَلَّا
فَإِنْ يَكُ بَاطِلًا فَسَقِيمُ حُبِّ أَفَاقَ بِهِ قَلِيلًا أَوْ أَبَلَّا
تَلَاقٍ لَا يَنْخَافُ وَلَا نُبَالِي بِمَا أَوْحَى بِهِ وَعَلَيْهِ دَلَّا
وَلَوْ أَنَّ الصُّبَّاحَ يُطِيعُ أَمْرِي لَمَا كَشَفَ الظَّلَامَ وَلَا تَجَلَّى

(١) أصله محلاً ، بالهمز ، اسم مفعول من حلاه عن الورد : أى منه .

إنما قلت إنه تلاق لا يخاف لمن دل عليه ووشى به ، لأنه لا قدرة
لأحد (١) .

[ولى من أبيات ... (٢)] : نأيا فمن دون اللقاء تنائفُ

حَلَّتْ بِنَا وَاللَّيْلُ مَرْخٍ سُدُولُهُ فَأَلَا وَضَوْءُ الصُّبْحِ فِي الْعَيْنِ مُشْرِقُ
وَرِدَّتْ مِطَالًا عَنْ لِقَاءِ مُصَحَّحٍ وَأَوْسَعَنَا مِنْكَ اللَّقَاءُ الْمَلَزِقُ
فَأَحْبَبَ بِهِ مِنْ طَارِقٍ بَعْدَ هَذَا عَلَى نَشْوَةِ الْأَحْلَامِ لَوْ كَانَ يَصْدُقُ
وَلَمَّا تَفَرَّقْنَا وَلَمْ يَكُ بَيْنَنَا هُنَالِكَ لَوْلَا النَّوْمُ إِلَّا التَّفَرُّقُ
تَطَايَرَ وَصَلَ غَرْنَا فَكَأَنَّهُ رَدَا سَحِيقُ أَوْ مُلَاةٌ مُشْبِقُ

إن حكم حاكم : ما في وصف من أوصاف الطيف يفضل ويقدم ؟
فما يتعدى هذه الأبيات ، والتي تقدمتها بلا فضل . ومعنى «لَوْ كَانَ يَصْدُقُ» :
التمنى لصدقه ، والتلف عليه ؛ وليس بشرط ، لأننى أحبه على كل حال ،
صَدَقَ أَوْ كَذَبَ ، وإنما تمنيت صدقه ، وجرى مجرى قول البحتري :

فَتَبَسَّمْتُ عَنْ وَاضِحَاتِ لَوْ لُثِمْنَ عَذَابِ

وما شرط ، بل تمنى وتلف . وقد شرحت هذا المنهج في بعض كلامي ،
وأوضحته واستوفيته ، ورددت على من اشتبه عليه .

وقولى : . . . وَلَمْ يَكُ بَيْنَنَا هُنَالِكَ لَوْلَا النَّوْمُ إِلَّا التَّفَرُّقُ

(١) كذا في الأصل . وبقية العبارة ساقطة .

(٢) وضعنا هذا الابتداء ، قياساً على قول المؤلف في نشره السنية .

معناه : ما كنا على الحقيقة إلا مفترقين غير مجتمعين . وإنما خيلَ النومُ
الاجتماع غرورا وزورا ، فما حصلنا بعده إلا على ما كنا في الحقيقة عليه .
وهذا لطيف مليح .

ولى وهي قطعة مفردة :

فَدَيْتُهُ مِنْ زَارٍ زَارِي وَاللَّيْلُ مُسَوِّدُ الْجَلَابِيبِ
زَارَ وَفِيهِ كُلُّ مَا نَبْتَغِي فِي النَّاسِ مِنْ حُسْنٍ وَمِنْ طِيبِ
وَلَمْ يَضِرْهَا أَنَّهَا زَوْرَةٌ لِعَازِبِ الْأَرَاءِ مَكْذُوبِ
بَاطِلَةٌ رَوَّتْ لَنَا غُلَّةً وَالْحَقُّ لَمْ يَأْتِ بِمَطْلُوبِ
لَوْلَا الْكَرَى مَا جَادَ لِي بِالْمَنَى مُعَشَّقٌ يَعْشَقُ تَعْذِيبِي
وَكَيْفَ لَا أَهْوَى أَذِيذَ الْكَرَى مُحِبِّبًا جَاءَ بِمَحْبُوبِ

ولى وهي قطعة مفردة :

فَلَوْ شِئْتُ لَمَّا أَزْمَعَ الْحَى رَوْحَةً أَشْرْتُ إِلَيْنَا بِالْبَنَانِ الْمُقَمَّعِ
فَمَا بَانَ مَاضٍ بَانَ وَهُوَ مُودَّعٌ وَقَدْ بَانَ كُلُّ الْبَيْنِ غَيْرَ مُودَّعِ
وَصَدِّكَ قَوْمٌ عَنْ زِيَارَةِ مُقَلَّتِي فَلَمْ تَزُورِي الْقَلْبَ سَاعَةَ مَضْجَعِي
وَحَاذَرْتُ وَصْلًا يَعْرِفُ النَّاسُ حَالَهُ فَمَا ضَرَّ مِنْ وَصْلٍ وَلَا أَحَدٌ مَعِي

قد تقدم نظائر قولي :

وَصَدِّكَ قَوْمٌ عَنْ زِيَارَةِ مَضْجَعِي^(١)

من شعري، فإنني^(١) كررته ، وقد بينت سبقي إليه ، والوصل الذي يعرفه
الناس ، ويشعرون به إن كان محذورا ، فوصل الطيف غير محذور . ومعنى
« ولا أحد معي » : أى لا يشعر بي ، ولا يعرف حالى .

ولى وهى قطعة مفردة :

مَنْ زَاثُرٌ مَا أُجِبْنَهُ!	مَا زَارَ إِلَّا فِي سِنِهِ
عَنْ لَنَا فِي غَلَسٍ	فَلَا عَدِمْنَا عَنْنَهُ
ذُو دَدَنِ وَإِنَّمَا	نَعْشَقُ مِنْهُ دَدَنَهُ
يَهْجُرُنِي مُجَاوِرًا	يُسْمِعُ قَوْلِي أُذُنَهُ
حَتَّى إِذَا حَلَّ النَّوَى	حَدَا إِلَى ظُغْنَهُ
لَمْ يَأْتِ إِلَّا فِي دُجَى	وَصُبْحَهُ مَا أَمِنَهُ
وَزَارَنِي فِي وَطَنِي	مُخْلِيًا لِي وَطَنَهُ
نَمْ أَطَابَ وَسْنِي	لَمَّا أَطَارَ وَسْنَهُ
أَبْدَلَنِي هِجْرَانَهُ	بِزُورَةٍ مُؤْتَمَنَهُ
بَاطِلَةً لَكِنَّا	مِنْ الْمَسِيءِ حَسَنَهُ
مَا أَحْسَنَ النَّصْرَ عَلَى	مُقَاطِعِ مَا أَحْسَنَهُ
فَلَيْتَمَهَا زِيَارَةً	تَكُونُ مِنْهُ دَيْدَنَهُ
مَا بَعَثَ الْوَاشِي إِلَى	مَنْ نَحْنُ فِيهِ ظِنَّهُ

ولا رَمَى ذُو فَطِينٍ إِلَيْهِ يَوْمًا فِطْنَةً
 فَبِتُّ لَيْلِي كُلَّهُ أَضْمُ مِنْهُ غُصْنَةً
 وَالسِّمُّ الصُّدْغَ الَّذِي عَقَرَبُهُ وَزَرَفَنَهُ
 لَوْلَا الدُّجَى يَشْفَعُ لِي لَمَّا لَقِيتُ مِنْهُ
 جَادَ بِهِ مُسْتَرْخَصًا وَمَا نَقَدْتُ ثَمَنَهُ
 فِي سَاعَةٍ كَأَنَّهَا لَذَاذَةٌ أَلْفُ سَنَةٍ
 وَاصَلَ فِيهَا سَكَنٌ بَعْدَ فِرَاقٍ سَكَنَةٍ

السَّنة : ابتداء النوم . ويحتمل قولي : « مازار إلّا في سِنَةٍ » وجهين :
 أحدهما : أنه مازار لجنبه وشدة خوفه ، إلّا زيارة هي تخيل ، وغير تحقيق .
 والوجه الآخر : أنه يريد أنه مازار إلّا في الليل ، فعبر عن الليل بما
 لا يكون في الأغلب إلّا فيه ، والليل يَسْتَرْ بظلمته الجبان الخائف . فأما
 الدَّدَن : فهو اللعب ، والمحجوب يُهَوَّى جِدُّهُ ولعبه وجميع أحواله .
 والبيت الذي أوله : « لم يأت إلّا في دَجَى » : نظير البيت الأول ، ومفسرله .
 وقولي : « بزورة مؤتمنه » : قد مضى تفسير نظيره . والديدن : العادة .
 وقد تقدمت نظائر قولي : « مابعث الواشي » ، والبيت الذي يليه . ومن
 عبّر عن معنى متداول ، بأحسن عبارة وأبلغها ، فكأنه مبتديه ومنشيه ، وما
 يضره أن سبق إليه ، إذا كان منفردًا بإحسان العبارة عنه . فحظ العبارة

في الشعر ، أقوى من حظ المعنى .

ولى وهى قطعة مفردة :

إِنْ كَانَ طَيْفُكَ زَارَنَا فَلَقَدْ تَجَنَّبْنَا طَوِيلًا
عَلَّمْتُ بِطُرُوقِكُمْ وَمَحَالِكُمْ قَلْبًا عَلِيلًا
مَا كَانَ يَرْضَى بِالْكُثِّ يَرِوْ بَعْدَ كَمْ رَضِيَ الْقَلِيلَا
فَهُوَ الْغَدَاةَ كَغَافِدٍ أَحْبَابُهُ نَدَبَ الطُّلُولَا
أَوْجَدْتُمُوهُ إِلَى الْأَمَا نِي فِي لِقَائِكُمُ السَّبِيلَا

معنى «رضى القليل» : أنه قنع بالطيف الذى لاحقيقة له ، وتشبيه الطيف بطلول الديار ، ورسوم الأحباب ، فى غاية الحسن والإضافة .

قد يحتمل البيت الأخير وجهين . أحدهما : أن زيارة الطيف إنما هى أمانى وأحاديث النفس ، فأوجدتموه سبيلا إلى هذه الأمانى .

والوجه الآخر : أنكم أوجدتموه بالطيف ، السبيل إلى تمني لقاءكم الحقيقى ، وأذكرتموه ذلك ، وشوقتموه إليه . ومن ملبح ما نظم فى قناعة الحب بالطيف ، على قلته ونزارته ، قول الحسين بن الضحاك الخليع :

وما فى تعرّض طيفِ الحيا لِي وَالْمَجْرُ حَظُّكَ يَمِّنُ تَحِبُّ؟
غَنَاءٌ قَلِيلٌ وَلَكِنِّى تَمَنِّيَّتُهُ بِقُنُوعٍ^(١) الْمَحِبِّ

ولى أيضا وهى قطعة مفردة :

(١) القنوع : ذات السؤال أو السؤال .

أَلَمْ خَيَّالٌ مِنْ أُمِيمَةٍ طَارِقُ وَمِنْ دُونِ مَسْرَاهُ اللَّوَى وَالْأَبَارِقُ
 أَلَمْ بِنَا لَمْ نَذَرِ كَيْفَ لِمَامِهِ وَقَدْ طَالَ مَا عَاقَتُهُ عَنَّا الْعَوَائِقُ
 فَلِلَّهِ مَا أَوْلَى الْكَرَى فِي دُجْنَةٍ جَفَّتْهَا الدَّرَارِي طُلُعًا وَالْبَوَارِقُ
 نَعِمْنَا بِهِ حَتَّى كَأَنَّ لِقَاءَنَا وَمَا هُوَ إِلَّا غَايَةُ الزُّورِ صَادِقُ
 فَيَا زَائِرِي فِي اللَّيْلِ أَلَّا وَصُبْحُنَا تَسَلُّ عَلَيْنَا مِنْهُ بَيْضُ دَوَالِقُ
 وَكَيْفَ ارْتَضَيْتَ اللَّيْلَ وَاللَّيْلُ مُلْبِسُ

تَضِلُّ بِهِ عَنَّا وَعَنْكَ الْحَقَائِقُ
 يُخَيِّلُ لِي قُرْبًا وَأَنْتَ بِنَجْوَةٍ وَيُوهِنِي وَضَلًّا وَأَنْتَ مُفَارِقُ
 فضل هذه الأبيات واستواء نسجها، مما يشهد به الصاحب، والعدو الماقت.
 ومعنى البيت الرابع ، أن التخييل قوى واشتد ، حتى لم يك بينه وبين
 الحق الصحيح فرق ، فلذلك تضاعفت المتعة ، وتكاثفت النعمة واللذة .
 ولى أضافى ذم الطيف :

(١)

وقد قال الكمي^(٢) :

فَلَمَّا انْتَبَهْتُ وَجَدْتُ الْخَيَا لَ أُمَانِيَّ نَفْسِي وَأَفْكَارَهَا

(١) سقط من المخطوطة ما أورده المؤلف في هذا الموضع .

(٢) انظر الموازنة للآمدى لوحة رقم ١٣٤ مصورة دار الكتب المصرية (رقم

١٢٦٦٢) - الجزء الثاني .

قال الآمدي : أي وجدت الخيال أنا الجالب له بأمانى نفسى . وهذا ذلك المعنى بعينه .

قال : وقد أورد أبو تمام المعنى على حذو ما قاله جبران العود^(١) سَوَاء ، فقال :

استزَارَتْهُ فِكْرَتِي فِي الْمَنَامِ فَأَتَانِي فِي خُفْيَةٍ وَآكِتَامِ

فذكر أن فكرته أتته بالطيف زائرا ، كما قال جبران العود :

« أَتَاكَ بِهِ حَدِيثُ نَفْسِكَ »

قال : ووصل أبو تمام بيته بأن قال :

الْأَيَّامُ أَحْفَى بِقَلْبِي إِذَا مَا جَرَّحَتْهُ النَّوَى مِنَ الْأَيَّامِ^(٢)

يَا لَهَا لَذَّةً^(٣) تَنَزَّهَتْ الْأَرْوَاحُ فِيهَا سِرًّا مِنَ الْأَجْسَامِ

مَجْلِسٌ لَمْ يَكُنْ لَنَا فِيهِ عَيْبٌ غَيْرَ أَنَّا فِي دَعْوَةِ الْأَخْلَامِ

ثم قال الآمدي : وليس لهذه الأبيات حلاوة ، ولا عليها طلاوة .

قال سيدنا أدام الله غلوه :

وأقول : إن لبيتى أبى تمام إحسانا لا يُجْحَد ، وفضلا لا ينكر ، ومن

مدحها فلم يضع المدح إلا فى موضعه .

وقول الآمدي : إنه أخذ معناه من قول جبران العود^(٤)

(١) من أول هذا الكلام إلى قوله فى ص ١٠٧ « وليس لهذه الأبيات حلاوة

ولا عليها طلاوة » وارد بالموازنة لوحة ١٣٤ ، ١٣٥ .

(٢) الموازنة : زورة (لوحة رقم ١٣٥) ١٢٦٦٢ .

(٣) تقدمت الإشارة إلى هذه الأبيات ص ٢١ من هذا الكتاب .

(٤) سقط من المخطوطة ، ما أورده المؤلف فى هذا الموضع .

الجساد والجسد : الزعفران . والثوب المُجَسَّد : المصبوغ بالزعفران .
والبيت الثالث لطيف المعنى ، لأن العجب كله في اعتداء زائر ليللا وهو
لا يهتدى نهارا .

والبيت الرابع فيه ما تراه من رَشَاقَة ومَلاحة .
ومعنى البيت الخامس : أن العَدَم الذى كان فى يدي قبل النوم : هو
الذى معى بعده ، فلا يَدَلِّكَ عَلَى ، وأنا كما كنت .
والبيت الأخير قد تقدمت له نظائر فى شعرى ، وزيارة القلب :
هى التخيل والتمثيل ، وزيارة العين : هى الحقيقة الصادقة .

ولى من قطعة مفردة :
أَيَا زَائِرًا بِاللَّيْلِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْرِى
وَهَلْ زَائِرٌ بِاللَّيْلِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْرِى ؟
وَيَا مُشَبِّهًا بِالْفَجْرِ ضَوْءَهُ جَبِينِهِ

أَبْنِ لِي قَلِيلًا كَيْفَ رُوِّعْتَ بِالْفَجْرِ !
تَجُودُ عَلَيْنَا وَالْمَعَاذِيرُ جَمَّةٌ وَتَبَخَّلُ بِالْجُدْوَى وَأَنْتَ بِالْأَعْذُرِ
وَلَمَّا تَعَاتَبْنَا عَلَى الْهَجْرِ صُغْتَ لِي دُنُوكَ مِنْ بُعْدٍ وَوَصَلَكَ مِنْ هَجْرٍ
وَأَوَّلَيْتَ بِرًّا لَمْ يَكُنْ عِنْدَ وَاصِلِ
إِلَيْهِ وَإِنْ أَغْنَى نَصِيبٌ مِنَ الشُّكْرِ

البيت الثانى : كأنه غريب المعنى .

ومعنى البيت الثالث: إنك تجود ليلاً ، والمعاذير في الليل واسعة ، لمشقة الزيارة فيه ، وتبخل نهاراً ، والعذر مرتفع .

ومعنى البيت الرابع : إني عانيتك على الهجر ، فأوهمتني وصلاً وقرباً لأصلهما .

ومن مליح العبارة عن هذا المعنى :

... صُفْتُ لِي دُنُوكَ مِنْ بَعْدِ وَوَصَّلَكَ مِنْ هَجْرٍ^(١)

ولى أيضا :

ضَنَّ عَنِّي بِالْتَزْرِ إِذْ أَنَا يَقْظَا نُ وَأَعْطَى كَثِيرَهُ فِي مَنَامِي
زَوْرَةً عَاجَلَتْ وَمَا هِيَ إِلَّا الزُّ وَرُسُقَمًا مُبَرِّحًا مِنْ سَقَامِي
وَالْتَقَيْنَا كَمَا اشْتَهَيْنَا وَلَا عَيْهَ مَبَسْوَى أَنَّ ذَاكَ فِي الْأَخْلَامِ
وَإِذَا كَانَتْ الْمُلَاقَاةُ لَيْلًا فَالْيَالِي خَيْرٌ مِنْ الْأَيَّامِ
وَبَلَغْتُ الْمَرَامَ آيَسَ مَا كُنْتُ عَلَى النَّأْيِ مِنْ بُلُوغِ الْمَرَامِ

ولى من قطعة مفردة :

وَمَدَّنِي كَفَّهُ وَعَانَقَنِي وَنَحْنُ فِي سَكْرَةٍ مِنَ الْوَسَنِ
وَبَاتَ عِنْدِي إِلَى الصَّبَاحِ وَمَا شَاعَ التَّقَالُ لَنَا وَلَمْ يَبْنِ
خَازَعَنِي نَمٌّ عَدَّ خُدْعَتَهُ لِقُلَّتِي مِنَّةً مِنَ الْمِنَّةِ

(١) انظر البيت كاملاً في الصفحة السابقة .

فَلَيْتَ ذَاكَ اللِّقَاءَ مَا زَالَ أَوْ
لَيْتَ خَيَالًا فِي النَّوْمِ لَمْ يَكُنْ
فَإِنْ تَكُنْ زُورَةً مُمَوَّهَةً فَقَدْ أَمِنَّا فِيهَا مِنَ الظَّنِّ
وَزَارَنِي زُورَةً بِلاَ عِدَةٍ وَمَا أَتَى وَقْتُهَا وَلَمْ يَحِينَ
وَلَا تَكُنْ بَاطِلًا فَكَمْ بَاطِلٌ ^(١) عَاشَ بِهِ مَيِّتٌ مِنَ الْحَزَنِ
وَلِيَ أَيْضًا وَهِيَ قِطْعَةٌ مَفْرَدَةٌ :
بِأَبِي زَائِرًا أَتَانِي جُنْحًا
لَا وِدَادًا مِنْهُ فَعَنَى وَمَنَى
زَارَنِي ضِنَّةً بِمَوْضِعِهِ الْمَا
لِكَ قَلْبِي بِخَلَا عَلَى وَضْنَا
لَمْ يَنْلِنِي شَيْئًا وَعِنْدَ رُقَادِي
أَنَّهُ جَاءَنِي فَأَغْنَى وَأَقْنَى
صَدُّ صُبْحًا وَالْعَيْنُ مِنْ يَغْطَى
وَسَرَى وَاصِلًا وَعَيْنِي وَسَنَى
وَجَفَا بِالنَّهَارِ مِنْ بَعْدِ أَنْ خَيَّ
لِي أَنَّهُ أَتَانِي وَهَنَا
زُورَةٌ مَا أَتَى بِهَا ذَلِكَ الزَّاءِ
ثُرُوبِي فَكَيْفَ يُوجِبُ مِنَّا !
هُوَ لَا هِ عِنْدَهَا وَمَا بَتْ فِيهِ
لَيْسَ عِلْمًا، وَلَمْ يَكُنْ لِي ظَنًّا
فَقَى تَعْلِيلَةً لِحَبِّ عِلِيلِ
أَوْ خِدَاعٌ يُهْدِي لِقَلْبٍ مُعْنَى
وَهِيَ مِثْلُ الْمُرَابِ أَوْ مِثْلُ لَقْظِ

فَارِغٍ مَالَهُ وَلَا فِيهِ مَعْنَى

معنى « وعند رقادي أنه جاءني فأغنى » : لأن الرقاد هو السبب

في تخيل ذلك وتمثله ، وإلا فهو مما لأصل له . وأقنى : من القنية . ومعنى « هو لام عنها » : أن هذا الطيف مثاله لا يدري بما نحن فيه ، فلا منة له . وأنا أيضا غير عالم بذلك ، ولا ظان له ، لأن الظن إنما يكون مع قوة الأمارات للعاقل ، وليس في النوم إلا الاعتقادات الباطلة المبتدأة^(١) .

والبيت الرابع : قد جمع بين تشبيه الطيف بالسراب ، وهو واقع على ماتقدم ، وبين تشبيهه باللفظ الذي لا معنى له ، وهو أيضا واقع ، وقد تقدم نظائره .

ولى وهى قطعة مفردة :

وليلة زُرْتِنَا والليل دَاجٍ	على عَجَلٍ ونحنُ على البراقِ
وَجُدْتُ لَنَا بِتَقْبِيلِ الثَّنَايَا	على رَغَمِ الوُشَاةِ والعِناقِ
تَلَاقَيْنَا بأرواحِ ظمَاءٍ	عَشِيَّةَ مَالِ الْجَسَادِ تَلَاقِ
ولمَّا أَنْ تَفَرَّقْنَا رَجَعْنَا	إلى ما نحنُ فيه من الفِرَاقِ
فَإِنْ يَكُ بَاطِلًا لَاحِقٌ فِيهِ	فَكَمْ مِنْ بَاطِلٍ حُلُوِ الْمَذَاقِ

ولى من قطعة مفردة :

يَا مَنْ جَفَانِي فِي الضُّحَى	وَأَزَارَنِي وَهْنًا خِيَالَهُ
وَرَضِيَتْ مِنْهُ بَأْنُ تَرَى	عَيْنَايَ فِي سِنَةِ مِثَالِهِ
وَحُرِمْتُ مِنْهُ صَحِيحَهُ	فَهَوَيْتُ مُضْطَرًّا مُحَالَهُ

(١) كذا في الأصل . يريد الاعتقادات التي تنشأ بدون فكر سابق ولا روية .

هَلْ ضَامِنٌ مِنْكُمْ لَنَا ضَمِنَ الْجَلِيلِ ، فَمَا بَدَأَ لَهُ
ولى من قطعة مفردة :

تَزُورِينَنَا وَهَنَّا وَلَوْ زُرْتِ فِي الضُّحَى

لَأُطْلِقَتْ مِنْ ضَيْقِ الْوَثَاقِ أُسِيرًا
وَمَا كَانَ مَا أَشْعَرَ تَبِيهِ زِيَارَةً وَلَكِنَّهَا كَانَتْ لِقَلْبِي زُورًا
وَجَاءَتْ إِلَى لَيْلِي الطَّوِيلِ فَخَوَّلَتْ لِعَيْنِي أَوْ قَلْبِي فَعَادَ قَصِيرًا
لِقَالِ شَفَى بَعْضَ الْغَلِيلِ وَلَمْ أَكُنْ

عَلَيْهِ وَإِنْ كُنْتُ الْقَدِيرَ قَدِيرًا
وَمَا كَانَ إِلَّا فِكْرَةٌ لِمُفَكِّرٍ وَذِكْرٌ أَحْبَابٍ مِنْهُ الظَّلَامُ ذِكُورًا
وَلَمَّا انْقَضَى مَا صِرْتُ إِلَّا كَأَنِّي

مَحَوْتُ بِضَوْءِ الصُّبْحِ مِنْهُ سُتُورًا

للبيت الثالث ما تمناه المتمعني ، من ملاحظة وسباطة .

ومعنى : ... ولم أكن عليه وإن كنت القدير قديرًا
أنتى لأقدر على إحضار الطيف متى شئت ، فقدرتى وإن كانت
واسعة ، تضيق عنه .

والبيت الأخير : فى غاية التحكم فى القلوب ، لأن انقضاء الطيف بغير أثر
ولابقية ، وإضافة المحو إلى ضوء الصبح : فى موقعه وموضعه .

ولى من قصيدة أولها :

ما صيد قلبك [يوما] يا بنة الكليل^(١)

وَزَارَنِي طَيْفُهَا وَهَنًا فَأَوْهَمَنِي زِيَارَةً كُنْتُ أَرْجُوهَا فَلَمْ أَنْلِ
هِيَ الزِّيَارَةُ مَعْسُورًا تَطْعُمُهَا وَلَيْسَ فِيهَا لَنَا شَيْءٌ مِنَ الْعَسَلِ
لَوْ كَانَ طَيْفُكَ أَوْلَانَا زِيَارَتَهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ مَا وُلِّيَ عَلَى عَجَلٍ
عَطِيَّةُ النَّوْمِ مَنَعٌ لَا انْتِفَاعَ بِهَا لِلْعَاشِقِينَ وَجُودُ الطَّيْفِ كَالْبَخَلِ
فَكَيْفَ جِئْتَ إِلَيْنَا غَيْرَ سَائِرَةٍ عَلَى جَوَادٍ وَلَا حِذْجٍ عَلَى جَمَلٍ
وَكَيْفَ لَمْ تُوقِظِي صَحْبِي وَقَدْ هَجَعُوا

بِرَنَّةِ الْحَلِيِّ أَوْ مِنْ فَعْمَةِ الْحُلَلِ

نظير البيت الذى أوله « عطية النوم منع » من شعري :

زِيَارَةُ الطَّيْفِ ضَرْبٌ مِنْ قَطِيعَتِهِ وَوَصْلٌ مِنْ لَا تَرَاهُ الْعَيْنُ هِجْرَانُ
وَفَعْمَةُ الطَّيْبِ : تَضَوُّعُ رَائِحَتِهِ . وَأَرَدْتُ فَعْمَةَ طَيْبِ الْحُلَلِ ، فَإِنْ
الْحُلَلِ فِي نَفْسِهَا لَا فَعْمَةُ لَهَا .

ولى من جملة قصيدة ، وهى من قولى المتقدم :

طَيْفُكَ مَا أَبْصَرُهُ يَقْطَعُ ذَاتَ الْأَبْرَقِ
خَيْلًا أَنَا نَلْتَقَى زُورًا وَلَيْسَ نَلْتَقَى

(١) كذا فى الأصل ، وفيه كلمة ساقطة ، ولعلها : يوما .

وَاقِفِي إِلَيْنَا فِي الْكَرَى	يُثْنِي إِلَيْهِ عُنُقِي
وَأَنْجُمُ اللَّيْلِ لَهَا	شَعْشَعَةٌ فِي الْمَشْرِقِ
كَأَنَّهَا سَاهِرَةٌ	حَائِرَةٌ لَمْ تَطْرُقِ
عَيْنُ رَقِيبٍ مُشْفِقٍ	مَوْكَلٍ بِالْحَدَقِ
أَعْجَبُ بِهَا زِيَارَةٌ	لِعَانِفٍ لَمْ يَرْفُقِ
بَاطِلَةٌ كَأَنَّهَا	هُنَاكَ مِنْ مُحَقِّقِ
كَأَنَّ شَوْقًا قَادَهَا	وَهَى كَمَنْ لَمْ يَشُقِ
بِتُّ بِهَا أَغْلُوطَةً	أَمْسِكُ مِنْهَا رَمَقِي
وَمُخْفِقٍ كَأَنَّهُ	مِنْ طَمَعٍ لَمْ يُحَقِّقِ
لَمَّا دَنَا الصُّبْحُ إِلَى	وَسَادِهِ كَالْيَتَمِّ
أَضْحَى يَمَضُّ كَفَّهُ	عَلَى الدُّجَى مِنْ حَنَقِ

[خاتمة]

قال سيدنا أدام الله علوه :

قد انتهينا إلى حيث يجب قطع الكتاب عليه .
وقد أخرجت من ديوان شعري في وصف الطيف ثلاث مئة وخمسة
وعشرين بيتا ، وهذا أكثر عددا مما أخرجناه للبحثري ، على شغفه بوصف
الطيف ، ولهجه به ، فإن الذي أخرجناه له مئتان ونيف وعشرون بيتا ،
بل هذا المبالغ ، الذي اختصصنا به ، يزيد عددا على كل ما سطر في هذا المعنى
لمكثر من الشعراء .

فأما التجويد فالتقدير يُخرج به ، والفطنة مع الإنصاف الحكم فيه ،
ولعله إن اتفق منا فيما يمدّه الله تعالى من مهلة ، ويطيله من مدة ، نظم شيء
في هذا المعنى ، ضمناه إلى هذا الكتاب ، وأضفناه إليه . والله تعالى ولي
التوفيق ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

والحمد لله وحده ، وصلاته على سيدنا محمد وآله الطاهرين وسلامه .
فرغ من نسخه شهر ربيع الآخر ، سنة إحدى وتسعين وخمس مئة ،
بمدينة حلب ، حرسها الله تعالى ، وخلد ملك مالكاها .

فهرس الموضوعات

صحيفة	صحيفة
٦١ ما أخرجه المؤلف من شعر أخيه	٣ إهداء الكتاب .
الشريف الرضى في طيف الخيال .	٥ تقديم .
٧٥ ما أخرجه المؤلف من شعره هو	١٣ مقدمة المؤلف .
في طيف الخيال .	١٧ ما جاء في طيف الخيال في شعر
١١٥ خاتمة .	أبي تمام والبحرئ .

فهرس الأعلام

٨٩ ، ٩٤	الآملئ : ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢
جران العود : ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ١٠٧	٢٤ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٢٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٨ : ٢٤
جرير : ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩	٣٩ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ١٠٧ ، ١٠٦ .
الحمدوى : ٧١	ابن المعتز : ٣٥
الحاييم (الحسين بن الضحاك) : ١٥٥	أبو تمام : ١٥ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٢١ ، ١٠٦ ، ١٠٧
دعبل الخزاعئ : ٤٢	١٠٧
السجستاني (أبوعلى محمد بن الملا) : ٢٧	أشجع السلمئ : ٨٨
السيد الحميرئ : ٦٧	الأقرع بن معاذ : ٧١
الشريف الرضى : ٦١	امرؤ القيس : ٢٦
طرفة : ٤٧ ، ٤٨	البحرئ : ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠
العباسة : ٦٧	٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩
عبد الصمد بن المعتدل : ٧١	٤٠ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ٦٠ ، ٦٨ ، ٧٠

السكيت : ١٠٦	مهيد بن الأبرص : ٦٧
مالك بن أسماء : ٤١	العتابي : ٤١
المجنون : ٦٦	عمرو بن قبيصة : ٦٦، ٦٥
محمد بن يحيى : ٦٧	الغلابي (محمد بن زكريا) : ٦٧
المرزباني (أبو عبدالله محمد بن عمران) : ٦٧	الفرأ : ٢٩
مسلم بن الوليد : ٤١	لفروزديق : ٩٥، ٩٤، ٧٥
النظار الفقمسي : ٦٧	قطرب : ٢٩
النمر بن قولب : ٤١	قيس : ٧٠
يمقوب : ٢٩	قيس بن الخطيم : ٣٥، ٣٤

فهرس الأماكو

بطن وجرة : ٦٤	الأبارق : ١٠٦
حاجر : ٧٦	الأبرق : ١١٣
الحمي : ٩٢، ٢٠	الأبرق : ٨٧
حزوي : ٤٤	الأبواء : ٧٩
خبت : ٤٦	أذرعات : ٥٠
الخياف : ٩٥	إضم : ٤٦
ذوسلم : ٨٧	الوي : ٧٥، ٦٠، ٥٥
رامتين : ٨٣	بصري : ٥٠
الرقنين : ٨٥، ٧٣	بطن نخلة : ٦٧

الملث : ٢٥
الغور : ٨٦
الغوير : ٨٧
فلج : ٥٢
القنّان : ٦١
كانظمة : ٨٢، ٨٢، ٨١
كبيكب : ٦٧
مربخ : ٨٤، ٧٩
المطالي : ٢٥
منى : ٨٣، ٧٩
نجد : ٨٦، ٨٢، ٧٣، ٣١
وج : ٨١
يبرين : ٥٢
اليفاع : ٩٧

رملة : ٢٥
زرود : ٨٦، ٨٤، ٧٣
الزوراء : ٨٢
النشّام : ٤٦، ٣٧، ٢٣
شبيث : ٣٢
شغب : ٦١
الصفاح : ٦٧
الطف : ٨٢
عالج : ٥٤، ٣١
عانة : ٤٩
العراق : ٣١، ٢٣
عرق : ٨١
عقيق : ٩٨، ٧٩، ٧٣
عكبرا : ٢٥

فهرس الفوائى

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
	الحاء	الألف	
٤٦	جنحا	٩٦	أراها .
	الدال	١٠٠	وولى .
٦٩	زروء .	٤٢٠٤١	يسراها .
٥٥	هاجد .	٧٥٠٢٥	السكرى .
٨٤٠٨٣	هجود .	٥٠	مضى .
٩٣٠٩٢	يعود .	الباء	
٣٧	أفدا	٤٩	أعجب .
٥٥٠٥٤	إفسادا .	٦٩	تجنب .
٧٣٠٧٢	بردا .	١٠٥	تحب .
٢٩	الصدا .	١٠١	الجلابيب .
٦٨	تسهادا .	٧١	حبيب .
٣١	يهدى .	٩٩	القلب .
٥٦٠٤٣٠٤٢	المتباعد .	٤٢	يثوب .
٤٤	متباعد .	٤٩	مجانب .
٦٧	بمبعاد .	٦٧	ككبك .
٥٥	البعاد .	٣٦	قريب .
٥٥	سعاد .	٤٩	حبيب .
٣١	عموده .	٦١	شغب .
٥٥	مطروء .	٨٥	الشغب .
٥٦٠٥٥	الهجود .	٥٠	ركابى .
٨٢٠٨٠	الودى .	الهاء	
	الراء	٤٦٠٤٥	الأوقات .
٥٧	أسهرا .	الجيم	
١١١	أسيرا .	٥٤	المهيج .
٥٨	اغتراره .	٨١	الفجاجة .

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
	الضاد	١٠٦	أفكارها .
٧٣	أقضا .	٩٢، ٩١	أوكارى .
	العين	٤٤، ٤٣	بكر .
٢٧	أروع .	٦٨	جری .
٥٠	هواجع .	٩٠	الحدار .
٥١	هجرع .	٧٢	خاطر .
٨٦	هزيم .	٢٤	ذعره .
٧٥، ٧٤	مضجى .	٨٢	زائر .
١٠٢	المقع .	٢٨	الزائر .
	الفاء	٧٦	الزائر .
٧٢	أوطف .	٥٧، ٥٦	زوار .
٥١	مطيفه .	٢٥	سرى .
٥٢	وكيف .	٥٨	سكرى .
٥١	واردى .	٦٩، ٦٨	سهر .
٥٢، ٥١	يوانى .	٧٦، ٦٢، ١٦	الطائر .
٥٢	بكسوف .	٥٨	غروده .
	القاف	٧٧	الغمر .
١٠٦	الأبارق .	٥٧	فاتره .
١٠٣	الأبرق .	٦٠	قدر .
٩٧	أخلقا .	٦٩	القطر .
٥٢	الأرق .	٥٧	نهاره .
١١١، ١١٠	البراق .	١٠٨	هجر .
٤٢	تشوق .	٩٠	يزر .
١٠١	التفرق .	١٠٨، ٣٠	يسرى .
٥٢	تمزقا .	٢٦	يشهرا .
٤٥	خفوق .	٥٨	يقصر .
٢٢	سملق .		
٩٨	طروقا .		
٢٢	المشاق .		
١٠١	مشرق .		
٩٦، ٦٤، ٦٠	يطرق .		

السين

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
	الميم		الكاف
١٠٧	اكتتام .	٢٣	ذكراك .
٧١	أنامها .	٧٩٠٧٨	خيالك .
١٠٧:٢١	الأيام .	٩٥	مطايك .
٨٤	بهم .		اللام
٧٥	حرام .	٧١	أجيلها .
٦٠٠٥٩	حزومها .	٤٣	اضمحل .
٨٣	الحلم .	١١٢	أنل .
٩٨	الخطا .	٣٣	أوائله .
٣٢	خيام .	٨٩	باطله .
٨٧	سلم .	٩٧	تخييل .
٨٨	الظلام .	٢٢	الخيال .
٧٣	الفرام .	٨٢٠٨١٠٦٥٠٦٤	خيالا .
٩٥	كلامها .	١١١	خياله .
٩٣	لمامه .	٥٣	خيالها .
٤١	مسلم .	٦٦	خيالها .
١٠٩٠١٠٨	منامى .	٨٧٠٥٣	رسوطها .
٧٥	نيام .	٧٥	زالا .
١٧	نيم .	٥٤٠٥٣	سرباله .
	النون	٥٤	سهلا .
٤١	حصن .	١٠٥	طويلا .
١٠٣	سنة .	٦٧	كحل .
٩٨	العيونا .	٢٠	مشغول .
٣٤	معنى .	٢٥	المطالى .
٧٢	معنى .	٤١	المفاصل .
١٠٩	منى .	٧٩	نولا .
١٠٩	الوسن .	٥٤	وصاله .
٨٦	يطرقنى .	٥٣	الوصال .
٨١	يقظان .	٤٧	وصلى .
٤٥	يهوانى .	٥٣	يفعل .

الصفحة	الماء	القافية	الصفحة	القافية
٣٥		به .	٧١	هجران .
٧٥		نبه .	٧١	الهجران .
٦٦		يفتبه .		وسنازا .
	الياء		٩١	وهنا .
٦٥		يوافينا .		

بمحمد الله تعالى وحسن توفيقه ، تم طبع كتاب :
« طيف الخيال »

للعلامة علي بن الحسين بن موسى الملقب بالشريف المرتضى
مصححاً بمعرفة لجنة من العلماء برياسة الشيخ أحمد سعد علي
بشركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
(١ / ٣ / ٢٠٠٠ / ١٩٥٥)

القاهرة في { ١١ رجب ١٣٧٤ هـ
٦ مارس ١٩٥٥ م }

مدير المطبعة
رستم مصطفى الحلبي

ملاحظ المطبعة
محمد أمين عمران

